الآراء النحوية التي انفرد بها أبو عبيدة بين القبول والرد

إعداد

أ.د/ عبد الهادى أحمد فراج

الأستاذ المساعد فى قسم اللغويات

بالكلية

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ثم « أما بعد » .

فهذا البحث ليس مجرد تعريف بأبى عبيدة ، ولا بجهوده الفكرية عموما ، وانما يهتم فى المقام الأول بآرائه النحوية التى انفرد بها عن بقية النحاة ، وبيان موقفهم منها ، قبولا أو رفضا .

وإذا كنت قد عرّفت به وبآثاره تعريفا مجملا ، فلأن هذا يمثل جانبا ضروريا من البحث لكى يساعدنا على سبر أغوار شخصيته ، وبيان ما بذل من جهد مثمر طيب ، نال به الرجل مكانة عظيمة فى لسان الضاد ، حتى رأينا كثيرا من المؤرخين يعدونه أحد أربعة كانوا أئمة الناس فى عصرهم فى اللغة والأدب ، وعنهم أخذ جل ما فى أيديهم ، وهم :

أبو عمرو بن العلاء ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، والأصمعى .

لقد تبنى أبو عبيدة أقوالا لم يقل بها غيره من النحاة ، مما جعله ببعض هذه الأقوال والآراء عرضة للنقد والرد ، وجعل كثيرا من النحاة اللاحقين يرمونه بالضعف فى علم النحو ، كما فعل أبو حيان وغيره ، وقد أحصيت هذه الآراء فوجدتها أحد عشر رأيا توضح فى مجملها مظهرا من مظاهر التفكير النحوى لديه وهذه الآراء واردة فى

كتب النحو والتفسير ، وقد أثارت جدلا كبيرا ما بين مؤيد ومعارض ، ومادح وقادح ، وهى فى حاجة الى دراسة متخصصة وافية ، لدفع بعض ما يثار حولها من شبه ، وبيان الصحيح منها من غيره ، وكان هذا محور ما دار فى هذا البحث .

وقد ضمنته ثلاثة مباحث :

الأول : خصصته للحديث عن حياته ونشأته ، ومذهبه العقدى وشيوخه ، وتلامذته ، ومنهجه فى آرائه ، ومؤلفاته ، وأثره فيمن بعده ولم أطل فى هذا المبحث لأنى مسبوق فيه بما كتبه محقق (مجاز القرآن) لذا آثرت أن يكون عملى مكملا لا مكررا .

الثانى : تحدثت فيه عن الآراء النحوية التى انفرد بها وقبلت لدى النحاة ، فوثقت هذه الآراء ، ودرستها دراسة متأنية ، وذكرت وجه الصواب فيها ، وبينت أنها جاءت مستحسنة مقبولة عندهم ، مع ذكر سبب ذلك ، وقد بلغت جملتها ست مسائل .

الثالث : تناولت فيه الآراء النحوية التى انفرد بها عن غيره ، وردت لدى النحاة ، وسرت فى دراستها كما فى المبحث الذى سبقه ، وهذه الآراء لم تجد قبولا من غالبية النحاة ، وذكرت سبب ذلك ، وهى خمس مسائل .

ثم ذيلت البحث بأهم المصادر التى اعتمدت عليها .

وجاء ترتيب هـذه الآراء في المبحثين الأخيرين على طريقة ابن مالك في « الألفية » لبسرها وسهولتها ، وكثرة النظر فيها .

وإني لأرجو أن أكون بعملي هـذا قـد أسهمت بجهـد في إبراز جانب من جوانب هذه الشخصية الكبيرة .

فاللهم امنحنا هداك ، وارزقنـا تقواك ، واجعل عملنـا مقرونا بالإخلاص ، لكي يكون في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

(أبو عبيدة : حيـاته وآثاره)

ليس المراد من هذا البحث الترجمة لأبى عبيدة ترجمة مستفيضة وافية ، وإنما المراد أن نصاحبه فى آرائه التى انفرد بهـا عن غيره من النحاة ولم يسبقه بها أحد ، لأننا لو أردنا أن نترجم له ترجمـة كاملة لاحتاج ذلك منا إلى بحث خاص ، وحسبنا تلك العجالة لنلقى الضـوء على شـخصيته .

١ ـ اسـمه ونسـبه :

هو : معمـر بن المثنى التيمى ، كنيته ، أبو عبيـده(١) ، ويلقب بالتيمى ، لأنه مولى لهم واختلف المؤرخون هل هم تيم قريش ؟ أو تيم بنى مرة ؟ وقد جزم ابن النديم وأبو الطيب اللغـوى بأنه مولى لتيم قريش(٢) .

---

(١) مصـادر ترجمته فى :

الفهرست لابن النـديم /٧٦ ـ ٧٧ ووفيات الأعيـان لابن خلـكان ٣٢٣/٤ ـ ٣٣٣١ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، وأخبار النحويين البصريين للسيرافى /٦٧ ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ٧٧ ـ ٧٩ تحقيـق الأسـتاذ محمد أبو الفضـل ابراهيم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٢٥٤/١٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٥٩/١٩ ، واشارة التعيين /١٠١ ، وكتاب المعمرين الترجمة رقم (٥٣) وبغية الوعاة للسيوطى ٢٩٥/٢ وانباه الرواة للقفطى ٢٨٥/٣ ومروج الذهب للمسعودى ٣٦/٤ والأعلام للزركلى ٢٧٢/٧ ، ومقدمة تحقيق كتاب مجاز القرآن/٩ وما بعدها د/ فؤاد سزكين وغير ذلك .

(٢) الفهرست /٧٦ ومراتب النحويين /٧٧ .

وهو أديب لغوى عارف بالغريب ، عالم بأيام العرب وأخبارها ، نحوى محدث ، ذو ثقافة واسعة ، ومصنفات كثيرة — وإن كان أغلبها لم يصل إلينا — ولو وصلت لعرفنا كثيرا من جوانب العظمة فى تلك الشخصية الموسوعية .

قال أبو الطيب اللغوى :

(أخبرنا جعفر بن محمد قال : سمعت أبا زيد عمر بن شبة يقول : قال أبو عبيدة : ما التقى فرسان فى جاهلية ولا إسلام إلا عرفتهما ، وعرفت فارسيهما)(٣) .

٢ — مولده :

لم يُعلم مولده على وجه التحديد ، غير أن بعض المصادر التى ترجمت له ذكرت أنه ولد فى السنة التى مات فيها الحسن البصرى — رضى الله عنه — وهى سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية ، يدل على ذلك قصة رُويت له مع الأمير : جعفر بن سليمان حين سأله عن مولده فأحاله على قول لعمر بن أبى ربيعة الذى ولد يوم مات عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — (٤) .

وقد صحح ابن خلكان(٥) أنه ولد سنة ١١٠هـ .

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) بغية الوعاة ٢/٢٩٦ .

(٥) وفيات الأعيان ٤/٣٢٦ .

ويذكر ابن النديم قولا يرويه عن أبى العيناء عن أبى عبيدة قال :

(قال رجل لأبى عبيدة : يا أبا عبيدة ، قد ذكرت الناس ، وطعنت فى أنسابهم ، فبالله ألا عرفتنى من أبوك ؟ وما أصله ؟ فقال : حدثنى أبى أن أباه كان يهوديا بباجروان)(٦) .

ولكن محقق (مجاز القرآن) شكك فى هذه الرواية ، وأرجع الأمر فى ذلك إلى أن حدته فى النقد لمعاصريه جعلت خصومه يحملون هذا القول منه على محمل الجد .

قال :

« على أننا نظن أن أبا عبيدة فى حديثه عن آبائه لم يكن يقصد إلى الجد ، وجو هذا الحديث يشعر بالذى نظنه ، غير أن شعوبية أبى عبيدة ، وحدته فى نقد معاصريه كل ذلك جعل خصومه يحملون هذا القول منه محمل الجد لينالوا منه »(٧) .

٣ - نشأته :

تذكر المراجع أنه ولد بـ (البصرة)(٨) وتضعه فى عداد علمائها ، ولم تتسعفنا هذه المصادر بأخبار شافية عن طفولته ، وشبابه ، وإن كان خليقا بذلك العالم أن يكون له تاريخ حافل بالأخبار ، حتى نلم

---

(٦) الفهرست /٧٦ وباجروان : قرية من ديار مضر بالجزيرة .

(٧) مقدمة تحقيق مجاز القرآن ص ٩ .

(٨) طبقات الزبيدى /١٩٢ والأعلام ٢٧٢/٧ .

بسيرته الذاتية والاجتماعية التى تحكى تفاصيل حياته ، من طفولته إلى شبابه ، إلى كهولته ، لتكون زادا للأجيال التى تأتى بعد ذلك ليتدارسوها ، وهذا ما ينبغى أن يكون للعلماء والقادة والمصلحين .

ولعل القصور فى ذلك راجع إلى أنه عاش حياة علمية خالصة ، انقطع فيها للعلم وأهله .

عاش أبو عبيدة فى مدينة (البصرة) منكبا على العلم والتحصيل والتأليف ، ثم ارتحل إلى (بغداد) سنة ثمان وثمانين ومائة ، حيثما جالس الفضل بن الربيع ، وجعفر بن يحيى وسمعا منه .

قال السيوطى(٩) « أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه » ، وظل أبو عبيدة فيها وهى حاضرة الإسلام - آنذاك - ملازما للتأليف والتدريس والافادة حتى ترك تراثا خالدا ، وضعه فى مصاف علماء الإسلام العظام ، ثم قصد (بلاد فارس) ونزل ضيفا على موسى ابن عبد الرحمن الهلالى ، ولم يحددوا سنة خروجه إليها ، وكان من نتيجة هذا التجوال اجتماعه بعلماء كانوا زينة المجالس ، متصدرى الدروس فى المساجد ودور العلم .

٤ - مذهبه العقدى :

يذكر كثير من الذين ترجموا له أنه كان يميل إلى مذهب (الخوارج)(١٠) وأنه كان يكتم ذلك ولا يظهره ، واختلفوا فى

---

(٩) البغية ٢/ ٢٩٥ .

(١٠) مراتب النحويين /٧٧ ووفيات الأعيان ٤/ ٣٢٥ .

الفرقة التى كان ينتمى إليها،فبعضهم يقول انه كان من (الإباضية)(١١)، وبعضهم ينسبهم إلى (الصفرية)(١٢) .

وكان دليلهم على أنه خارجى : أنه كان كثير الإنشاد لأشعارهم، وكان يفيض فى الحديث عنهم ، وعن أخبارهم وأيامهم ، ويذكر مفاخرهم ، يقوى ذلك ما رواه أبو الطيب اللغوى(١٣) عن محمد بن يزيد عن التوجى قال : « دخلت على أبى عبيدة - وهو جالس فى مجلس مسجده وحده ، ينكث فى الأرض فرفع رأسه إلىّ وقال : من القائل :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك أن تطاعى ؟

فقلت : قطرى بن الفجاءة الخارجى . قال : فض الله فاك ! هلا قلت : لأمير المؤمنين أبى نعامة ! (كانت هذه كنية قطرى) قال لى: اجلس واكتم علىّ ما سمعت منى . قال : فما ذكرته حتى مات . ثم نسبوه إلى القول بـ (القدر) وربما كان سبب ذلك أنه كان كثير المدح فى (النظام) .

ولكن أبا حاتم السجستانى كان يبرئه من القدر ، وينفيه عنه(١٤) إن نسبته إلى الخوارج تارة ، وإلى القول بالقدر تارة أخرى تكشف

---

(١١) هما فرقتان من فوق الخوارج ينظر (الفرق بين الفرق/٨٢)
(١٢) المرجع السابق .
(١٣) مراتب النحويين /٧٨ ، ٧٩ .
(١٤) طبقات الزبيدى /١٢٤ .

عن صلته بمعاصريه ، وأنه لم يكن على وفاق معهم ، ولم يكن محبوبا لديهم ، لشدة نقده لهم ، وحدة لسانه معهم •

يقول الدكتور فؤاد سزكين :

« وليس فى كتابه هذا ـ مجاز القرآن ـ وهو من آثاره الباقية ما يدل على هذه الميول وتلك الاتجاهات »(١٥) • فلعل هـذا من فعل المعـاصرة •

٥ ـ أسـاتذته :

أخذ أبو عبيـدة علمه من شـيوخ كان لهم باع طويل فى البحث والاطلاع ومشافهة الأعراب ، ومثابرة على تحصـيل العلوم ، وكانت البصرة تزخر بهم ، فطوف بحلقات دروسهم ، وأخذ من ينابيع فكرهم •

ونظرا لكثرة من أخذ عنهم فسـأذكر جملة منهم ، وحديثى عنهم لا يدخل فى باب الحصر والاستقصاء لأننى مسبوق فى هذا بما ذكره محقق (مجـاز القرآن) نقـلا عن كتب التراجم ، وإليك أهم هؤلاء الأعـلام(١٦) :

ـ (أبو عمـرو بن العـلاء ت ١٥٤هـ وعيسى بن عمر الثقفى البصرى ت ١٥٤هـ ، ويونس بن حبيب البصرى ت ١٨٧هـ ـ ووكيع بن الجراح ت ١٨٧هـ وغيرهم) •

---

(١٥) مقدمة تحقيق مجاز القرآن ١/١١ •

(١٦) المرجع السـابق /١١ ، ١٢ •

قال أبو الطيب اللغوي(١٧) :

« وكان في هذا العصر ثلاثة هم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب ، لم ير مثلهم قبلهم ولا بعدهم ، عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذا العلم ، بل كله ، وهم أبو زيد ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، وكلهم أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء اللغة والنحو والشعر ، ورووا عنه القراءة ، ثم أخذوا بعد أبي عمرو عن : عيسى ابن عمر ، وأبي الخطاب الأخفش ، ويونس بن حبيب ، عن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم ، مثل أبي مهدية ، وأبي طفيلة ، وأبي البيداء ، وأبي خيرة ، واسمه إياد بن لقيط — وأبي مالك عمرو بن كركرة ، من بني نمير ، وأبي الدقيش الأعرابي ، وكان أفصح الناس ، وقد أخذ الخليل أيضا عن هؤلاء ، واختلفت إليهم » .

٦ — تلامذته :

تصدر أبو عبيدة للتدريس في مساجد (البصرة) ثم ألقى عصا التسيار في (بغداد) وطاف في (بلاد فارس) وهذا كله كان له دور كبير في كثرة إقبال الطلبة عليه ، والأخذ منه ومن هؤلاء(١٨) :

— أبو حاتم السجستاني ت ٢٥٦ هـ — وأبو عثمان بكر بن محمد المازني ت ٢٤٩هـ .

— وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ت ٢٩١هـ .

— علي بن المغيرة الأثرم ت ٢٣٢هـ

---

(١٧) مراتب النحويين ٧٠ ، ٧١ .

(١٨) معجم الأدباء ١٩/١٥٩ والبغية ٢/٢٩٥ .

ـ أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٤هـ .

ـ عمرو بن شبة النميرى ت ٢٣٠هـ

ـ عبد الله بن محمد التوزى ت ٢٣٢هـ .

وغير هؤلاء كثير ممن ذكرتهم كتب التراجم(١٩) .

٧ ـ مصـــنفاته :

ذكر مترجموه أن له كتبا فى فروع شتى من العلم ، فقد صنف فى اللغة والنحو ، ومعانى القرآن ، وغريبه ، وغريب الحـــديث ، وأيام العرب ، وغير ذلك .

ولا أستطرد فى ذكر كل مؤلفاته ، فقد نقل أصحاب التراجم أنها كانت تربو على المـــائتين ، ولكن لم يصـــل إلينا أغلبها ، ولو وصل لوجدنا علما غزيرا(٢٠) .

وإليك أهم هذه المؤلفات :

١ ـ كتاب مجاز القرآن ، طبع فى مطبعة الخانجى بمصر ، وحققه الدكتور / محـــمد فؤاد سزكين ، فى جزئين ، وكان السبب فى تأليفه سؤالا وجه إلى أبى عبيدة فى آية قرآنيـــة ، وهى قول الله تعـــالى : « طلعها كأنه رءوس الشياطين » وذلك فى مجلس الوزير : الفضل بن الربيع من أحد كتابه وهو : إسماعيل بن إبراهيم الكاتب .

---

(١٩) اشارة التعيين /١٠١ وطبقات الزبيدى /١٢٤ .

(٢٠) الفهرست /٧٦ ، ٧٧ ووفيات الأعيان ٤/٣٢٤ وبغية الوعاة ٢/٢٩٥ .

٢ ــ كتاب الخيل ، طبع فى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ١٣٥٨هـ .

٣ ــ كتاب الديباج ، طبع بمطبعة الخانجى بمصر ، بتحقيق الأستاذين : عبد الرحمن العثيمين ، وعبد الله بن سليمان الجدبوع ، وغير ذلك كثير(٢١) .

٨ ــ أثر أبى عبيدة فيمن بعده :

لقد كان أثره فى معاصريه ومن جاء بعده كبيرا ، وقد شغل أغلب وقته فى التأليف والمطالعة ، والتدريس ، فكثرت مؤلفاته ، وأصبح من تلاميذه كبار اللغويين والنحاة والأدباء وقد شهد له الجاحظ بقوله : « لم يكن فى الأرض خارجى ولا إجماعى ، أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة »(٢٢) .

فإن هذه الشهادة ــ مع فيها من مبالغة ــ تعنى سعة إلمامه بعلومه، وعدم الاقتصار على فن واحد منها ، وشهرة أبى عبيدة تقوم على حفظ اللغة وروايتها فهو معدود ومترجم له فى اللغويين البصريين ، حتى قيل : « كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب فى نصفها ، وكان أبو زيد يجيب فى ثلثيها ، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها »(٢٣) . ومع شهرته فى اللغة وروايتها إلا أن القارىء سواء فى مجاز القرآن أو فى آرائه المبثوثة فى الكتب الأخرى يستطيع أن

---

(٢١) المراجع السابقة .

(٢٢) البيان والتبيين ١/٣٣١ ومعجم الأدباء ١٩/١٥٥ .

(٢٣) مراتب النحويين /٧٧ والبغية ٢/٢٩٥ ، ٢٩٦ .

يحكم عليه بأنه أيضا من النحـــاة المتقدمين ، والفراء — وهو علم كبير في النحو — يصفه بأنه من النحويين(٢٤) .

هذا وقد تتبعت ورود اسمه في أحد موسوعات النحو الكبرى : (شرح الأشموني) فوجدت اسمه يتردد في مسائل نحوية سبع مرات، وفي أبواب نحوية مختلفة(٢٥) ، مما يدل على أنه معدود في النحاة كما عُد في اللغويين .

وكذلك يتردد اســـمه كثيرا في كتب أبي حيان كالتذييل والتكميل وارتشاف الضرب ، وغيرهما من كتب النحو المختلفة .

يقول الدكتور فؤاد سزكين :

« وقد اعتمد عليه ابن قتيبة في كتابيه : (المشكل) و (الغريب) والبخاري في (صحيحه) ، وكذلك الطبري في (تفسيره) وأكثر من مناقشته ومقارنة رأيه بآراء أهل التأويل والعلم ، وأفاد منه أبو عبيد الله اليزيدي ، والزجاج في (معـــانيه) وابن دريد في (الجمهـــرة) ، وأبو بكر السجستاني في (غريبه) والنحاس في (إعراب القرآن)، والأزهري في (التهـــذيب) ، وأبو علي الفارسي في (الحجـــة) ، والجوهري في (الصحاح) ، وأبو عبيـــد الهروي في (الغريبين) وغيرهم من المتقدمين ، ومن أهم من أفاد منه من المتأخرين ابن حجـــر العسقلاني في (فتح الباري) »(٢٦) .

---

(٢٤) معاني القرآن للفراء ٨٩/١ ، ٢٨٧/٢ ، ٣١٠ .

(٢٥) الأشموني ١٨/١ ، ١٤١/٢ ، ٢٢٧ ، ١٥٧/٣ ، ١٦/٤ — ١١٤ ، ٢٤٦ .

(٢٦) مقدمة تحقيق مجاز القرآن ص ١٧ .

إن أبا عبيدة ومن إليه من العلماء المتقدمين يمثلون حلقة الوصل بين منابع اللغة الأصيلة فى بادية العرب وبين النحاة الذين جاءوا بعد ذلك واعتمدوا على ما ترك هؤلاء الرواد ، لقد كان لقرب هذا الجيل من المنابع الأولى بالتلقى والمشافهة ، وما تركوا من كتب ومصنفات عمرت بها دور العلم ، وخزائن المكتبات قبل أن تعصف بها عوادى الزمن كان لذلك كله فضل حفظ آراء المتقدمين مما أمد المتأخرين بذلك الفيض الزاخر من الوجوه والآراء ، وفتح لهم آفاق النظر ، ومد أمامهم سبل البحث .

٩ - منهجه النحوى :

إن مكانة أبى عبيدة العلمية لا يمكن الاختلاف عليها ، وكذلك مكانته عند علماء النحو والتصريف ، فنحن نجد له آراء فى النحو جريئة سواء فى مجاز القرآن أو فى غيره ، مع أنه لم يهتم فى هذا الكتاب بالجانب النحوى كل الاهتمام إذ تبدو المباحث النحوية فيه قليلة بجانب الفيض اللغوى الذى يملؤه .

ونستطيع أن نستخلص منهجه النحوى فى الطرق الآتية :

١ - عدم التقيد بمذهب نحوى معين ، فهو ينتقى ويختار من أقوال النحويين ما يروق له فيحكيه ، ولا يطيل عنده الوقوف ، كما أنه يعتمد على كل مروى ولا يرى حرجا فى القول به مهما كان موضعه من الاطراد أو الشذوذ .

ولعل السبب فى عدم خضوعه للمدرستين النحويتين - البصرية والكوفية - هو أن هاتين المدرستين كانتا فى طور التكوين ، ولم تكن

ملامحهما قد تحددت تماما كما حدث بعد ذلك فى الأزمنة التالية .

يقول الدكتور فؤاد سزكين(٢٧) :

« والذى نرجو أن يكون صوابا فى مسلك أبى عبيدة أنه كان يعتمد على حسه اللغوى الخاص فى إعراب آيات أو أشعار بدون أن يقدر ما كانت تؤسسه المدرسة النحوية فى عهده من قواعد تلتزم السير عليها ولا تتعداها ، ومن هنا جاء نكيرهم عليه » .

ويقول أحد الباحثين :

« على أن اتجاه أبى عبيدة الذى انصرف فيه — قاصدا أو غير قاصد — عن مسلك النحويين من معاصريه لم يعدم تقديرا من الدارسين المعاصرين الذين يعنون بتاريخ النحو العربى ، فأبو عبيدة التفت إلى أبواب من سر العربية حالٌ دون الاستفادة منها مسلك النحاة بما أحكموا من قواعد وأسسوا من أسس »(٢٨) .

٢ — الجرأة فى تبنى أقوال نحوية لم يقل بها غيره ، وبخاصة فى ظاهرتى الزيادة والحذف ، مما جعله عرضة للنقد — وهذه النقطة هى مدار هذا البحث الذى بين أيدينا — ، فالرأى النحوى — عنده — أشبه ما يكون بالرواية اللغوية ، أو التفسير اللغوى للكلمة .

٣ — إن أبا عبيدة جعلَ دليله فى فهم القرآن طريقة العرب فى كلامها ، واستعمالَ كلماتها وتركيب جملها ، ولم يحتكم لشىء فى تفسير

---

(٢٧) المرجع السابق ص ١٥ .

(٢٨) احياء النحو لابراهيم مصطفى ص ١٢ .

النص القرآنى إلا لهذا ، وهـذا الاتجاه الذى سلكه لا يبعـد كثيرا عن (تفسير القـرآن بالرأى) وهو الأمر الذى كان يتحاشـاه كثير من معاصريه ، وقد تعرض مسلكه هـذا لكثير من النقد ، فالفراء ـ مثلا ـ تمنى أن يضرب أبا عبيدة لمسلكه هـذا فى تفسير الكتاب العزيز (٢٩) .

تلك سمات منهجه فى اللغة عموما وفى النحو على وجه الخصوص ، وهـذا ما دفعنى إلى تنـاول آرائه الانفرادية فى النحو بالبحث والدراسة لأبين مدى مطابقتها للقياس النحوى من عدمه ، حتى يوضع الحق فى نصابه ـ إن شاء الله ـ وحتى نقف على وجه الصواب فيما نحن بصدده .

١٠ ـ أبو عبيـدة ما له وما عليـه :

لقد كان أبو عبيـدة ذا شخصية فريدة ، وكان منهجـه مستقلا ، يختلف فى دراسة القواعد وتوجيـه الشواهد عن منـاهج النحويين المتقدمين عليـه ، والمعاصرين له ، وأى شخصية كهذه لابد أن يختلف عليها الناس ما بين مؤيد ومعارض ، ومادح وقادح . وقد كان الأمر معه على هـذا النحو الذى ذكرنا ، ونبدأ بذكر أقوال من مدحوه ، ثم نعقبه بذكر أقوال غيرهم . وقد نقلنا سابقا مقولة الجاحظ :

« لم يكن فى الأرض خارجى ولا إجماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة »(٣٠) .

---

(٢٩) تاريخ بغداد ١٣/٢٥٥ .

(٣٠) البيان والتبيين ١/٣٣١ .

وقول أبى الطيب اللغوى : « كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب فى نصفها ، وكان أبو زيد يجيب فى ثلثيها ، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها »(٣١) .

ويقول فيه المبرد : « كان أبو عبيدة عالما بالشعر ، والغريب ، والأخبار ، والأنساب ، وكان الأصمعى يشركه فى الغريب ، والشعر ، والمعانى ، وكان الأصمعى أعلم بالنحو منه »(٣٢) .

ونقل السيوطى عن يزيد بن مرة قوله : « ما كان أبو عبيدة يفتش عن علم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره ، ولا يقوم بشىء أجود من قيامه به »(٣٣) .

وقال ابن خلكان : « كان أبو نواس يتعلم من أبى عبيدة ويصفه ، ويثنا الأصمعى ويهجوه ، فقيل له : فما تقول فى الأصمعى ؟ قال : بلبل فى قفص ، فقيل له : فما تقول فى خلف الأحمر ؟ قال : جمع علوم الناس وفهمها ، قيل : فما تقول فى أبى عبيدة ؟ قال : ذاك أديم طوى على علم »(٣٤) .

وقال ابن قتيبة : « كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها »(٣٥) .

---

(٣١) مراتب النحويين ٧٧ .

(٣٢) المرجع السابق ومعجم الأدباء ١٩/١٥٥ .

(٣٣) البغية ٢/٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣٤) وفيات الأعيان ٤/٣٣٠ .

(٣٥) المعارف لابن قتيبة ٣٦ .

وقال أبو الطيب اللغوى : « ثلاثة هم أئمة الناس فى عصرهم فى اللغة والشعر وعلوم العرب لم ير مثلهم قبلهم ولا بعدهم ، عنهم أخذ ما فى أيدى النـــاس من هــذا العلم وهم : أبو زيد ، وأبو عبيــدة ، والأصمعى ، وكلهم أخذوا عن أبى عمرو بن العــلاء اللغــة والنحو والشعر » (٣٦) .

هــذه طائفة من أقوال الذين امتدحوه ورفعوا شــأنه ، وأعطوه حقه كاملا غير منقوص .

وهناك من وجه إليه سهام النقد ، ويبدو أن ذلك لجرأته فى تبنى أقوال غير مألوفة ، وما انضم إلى ذلك — كما قيل — مما عرف عنه من طول لسانه وشدة ثلبه للناس ، حتى قيل إن جنــازته لم يسر وراءها إلا القليل من الناس ، لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحــد ، لا شريفه ولا غيره (٣٧) .

وإلك طائفة من هــذه الأقوال :

— قال الزبيدى : « كان لا يقوى على انتقاء اللحن ، إذا أنشد بيتا لم يقمه ، ويخطىء فى قراءة القرآن نظرا » (٣٨) .

ولا شك أن أبا عبيدة كان يلحن حين يتحدث ، فالحديث اليومى العادى أيام أبى عبيدة لم يكن من سلامة البنية بحيث يلتزم فيــــه

---

(٣٦) مراتب النحويين ٧٠ .

(٣٧) وفيات الأعيان ٤/٣٣١ والبغية ٢/٢٩٥

(٣٨) طبقات الزبيدى /١٢٤ .

الإعراب ، وشأنه فى هـذا شأن غيره من المتحدثين الذين لا يلتزمون الإعراب فى حديثهم العادى ، ومعلوم أن مستويات اللغة تختلف بين الفصحى واللغة الدارجة بحسب المواقف ، ويقر علماء اللغة المحدثون بوجود الفارق بين لغة الحياة اليومية ولغة العلم والأدب ، وأما أنه كان كان لا يعلم البيت من الشـعر فمرد ذلك ـ غالبا ـ إلى ضـعف الملكة التطبيقية عنده ، وهو أمر مألوف غير غريب ، فكثير ممن درسوا النحو وفهموه جيدا نراهم إذا ما وقفوا خطباء أو متحدثين تخونهم مقدرتهم فيقعون فى أخطاء نحوية ولغوية .

ـ وقال أبو حيان : « وكان ضعيفا فى علم النحو »(٣٩) .

ـ وقال ابن أم قاسـم المرادى : « ولم يكن أبو عبيـدة يحسن النحو وإن كان إماما فى اللغة وأيام العرب »(٤٠) .

وقال ابن هشام : « قال أبو عبيدة : إذ زائدة ، وتبعه ابن قتيبة ، وحملا عليـه آيات منها « وإذ قال ربك للملائكة » ... ثم قال وليس هـذا القول بشىء »(٤١) .

« تعقيب » :

الناظر فى هـذه الأقوال لا يجـد صـعوبة فى تمحيصها والرد عليها . نعم ، إن أبا عبيدة إنما تميز باللغة ، واشتهر بها ، ولا يلزم من

---

(٣٩) البحر المحيط ١/١٣٩ ، ٢/٤٣٧ ، ٤٥٩ .

(٤٠) الجنى الدانى /٥٣٨ .

(٤١) مغنى اللبيب ١/٨٣ ، الآية ٣٠ من سورة البقرة .

ذلك أن يكون مقصرا فى النحو أو ضعيفا فيه - كما قالوا - ، وذلك أن روايته فى اللغة سارت وانتشرت واشتهرت ، أما آراؤه النحوية فلم يكتب لها هـذا الرواج بين طلبة العلم كما فى الأولى ، فلعل هـذا هو السبب لأنه لا يتصور أن يكون الشيخ عالمـا فى اللغة ضعيفا فى النحو ، لأنهما علمان يرتبط أحدهما بالآخـر ، ويكملان بعضهما ، فـلا يتصور استغناء أحدهما عن الآخر ، ولكن من العلماء من يبدع فى أحدهما أكثر من إبداعه فى الآخر ، وهكذا كان أبو عبيدة مبدعا فى اللغة ، له جهود مشكورة فى النحو ، وهو دين كثير من العلماء فى العصور السالفة .

١١ - وفاتـــــه :

بعد حياة حـافلة بالتـأليف والتصنيف والتدريس جـاءت وفاة أبى عبيدة عن عمر يناهز المـائة ، فقد قيل إنه عاش ثمان وتسعين سنة ، ولم يتفقوا على سنة وفاته فقيل : مات سنة ٢٠٩هـ ، وقيل سنة ٢١٠هـ ، وقيل ٢١١هـ(٤٢) . ورجح الزركلى أنه مات بالبصرة ، قال : (مولده ووفاته بالبصرة)(٤٣) .

---

(٤٢) انظر فى تاريخ وفاته : الفهرست /٧٦ ووفيات الأعلام٤/ ٣٣٠

(٤٣) الأعلام ٧/ ٢٧٢ .

المبحث الثـانى

الآراء النحوية التى انفرد بها وقبلت

الرأى الأول : حذف الموصول الاسمى :

حذف الموصول الاسمى أثار جدلا بين النحـاة(١) ، وسأعرض ـ فى إيجاز ـ المسألة ثم أورد رأى أبى عبيدة فيها .

جمهور البصريين ـ إلا الأخفش ـ منعوا حـذف الموصول ، والكوفيون ومعهم الأخفش أجازوا حذفه ، ولكن بشروط أوردوها ، أما أبو عبيدة فأجاز حذفه مطلقا بلا شروط .

أما شرط الكوفيين فهو أن يكون الموصوف بعضا من اسم مجرور بـ (من) مذكور فى الكلام .

قال الفراء فى قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه »(٢) : « المعنى : من الذين هادوا من يحرفون الكلم ، وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من) فى مبتدأ الكلام ، فيقولون : منا يقول ذلك ومنا لا يقوله ، وذلك أن (من) بعض لمـا هى فيه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ، ... ولا يجـوز أن تقول : فى الدار يقول ذلك ، وأنت تريد : فى الدار من يقول ذلك »(٣) .

---

(١) انظر المسألة فى : شرح الكافية الشافية ١/٣١٣ .

(٢) من الآية ٤٦ من سورة النساء .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/٢٧١ .

وقال ثعلب : « اختصم عندى من يقوم ويقعد ، قال : أجازه الفراء فى الاستواء ، وهو مثله فى الحذف والإقرار »(٤) .

ووافق ابن مالك الكوفيين قال : « وبقولهم فى ذلك أقول »(٥) . وشرط فى بعض كتبه أن يكون معطوفا على موصول آخر مذكور .

واستدل الكوفيون على ذلك بالقياس والسماع .

أما القياس : فقد قاسوه على (أن) فإن حذفها مكتفى بصلتها جائز بإجماع ، مع أن دلالة صلتها عليها أضعف من دلالة صلة الموصول من الأسماء عليه ، لأن صلة الاسم مشتملة على عائد يعود عليه ، وصلة الحرف ليس لها عائد ، فكان الموصول الاسمى أولى بجواز الحذف من الموصول الحرفى ، وأيضا ، فإن الموصول الاسمى كالمضاف وصلته كالمضاف إليه ، وحذف المضاف إذا علم جائز ، فكذلك ما أشبهه .

وأما السماع : فمنه قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء(٦)

والتقدير : ومن يمدحه ، فحذف الموصول وأبقى الصلة .

ومنه قول بعض الطائيين :

---

(٤) مجالس ثعلب /٤٦٥ .

(٥) شرح التسهيل لابن مالك ١/٢٣٥ .

(٦) ديوانه ص ١٧ من الوافر ، ويروى (فمن يهجو) وانظره فى: المقتضب ٢/١٣٧ والأصول فى النحو لابن السراج ٢/١٤٩ ومعانى القرآن ٢/٣١٥ وشواهد التوضيح لابن مالك /٧٦ .

ما الذى دأبه احتياط وحزم وهواه أطاع يستويان(٧)

أراد : والذى هواه أطاع ، فحذف الموصول .

ومنه قوله تعالى : « وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم »(٨) ، أي : وبالذي أنزل إليكم .

ومذهب البصريين المنع ، وما ورد من ذلك حملوه على حذف الموصوف بالجملة كما سبق ، قال المبرد فى بيت حسان السابق : « ذهب الذين يجوزون حذف الموصول إلى أن المعنى : ومن يمدحه وينصره ، وليس الأمر عند أهل النظر كذلك ، ولكنه جعل (من) نكرة ، وجعل الفعل وصفا لها ، ثم أقام فى الثانية الوصف مقام الموصوف ، فكأنه قال : وواحد يمدحه وينصره ، لأن الوصف يقع فى موضع الموصوف إذ كان دالا عليه »(٩) . وكذلك تأولوا البيت الثانى والآية الكريمة .

وأيد الرضى كلام الكوفيين ، ولم يوافق البصريين بل رد كلامهم ، قال : « وأجاز الكوفيون حذف غير الألف واللام من الموصولات الاسمية خلافا للبصريين ... ولا وجه لمنع البصريين من حيث القياس ، إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة وإن كانت فاء أو عينا ، وليس الموصول بألزق منهما »(١٠) .

---

(٧) من الخفيف ، وقد استشهد به ابن مالك فى شرح التسهيل ١/٢٣٥ ، وشرح الكافية الشافية ١/٣١٤ ولم ينسبه فيهما .

(٨) من الآية ٤٦ من سورة العنكبوت .

(٩) المقتضب ٢/١٣٥ .

(١٠) شرح الكافية ٢/٦٠/٦١ .

رأى أبى عبيـــدة :

نهج أبو عبيدة نهجا منفردا فى كلامه على حذف الموصول الاسمى، فهو يفسر كثيرا من الآيات فى كتابه (مجاز القرآن) على حـــذف الموصول دون التقيد برأى أى من الفريقين ــ البصريين والكوفيين ــ ومن أمثلة ذلك :

١ ــ « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيـــة »(١١) قال « مجازه : فهلا كان من القرون الذين من قبلكم ذوو بقية »(١٢) فهو يقدر (الذين) وصفا للقرون .

٢ ــ وفى قوله تعـــالى : « رب اجعلنى مقيم الصـــــلاة ومن ذريتى »(١٣) قال : « مجازه مجاز المختصر الذى فيه ضمير ، كقوله واجعل من ذريتى من يقيم الصلاة »(١٤) وهنا قدر (من) الموصولة .

٣ ــ وفى قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون »(١٥) .

قال : « وفيه مضمر مجازه : عند من فى السماء رزقـــكم وعنده ما توعدون »(١٦) وفى آية أخرى : « واســـأل القرية »(١٧) قال :

---

(١١) من الآية ١١٦ من سورة هود .
(١٢) مجاز القرآن ١/٣٠٠ .
(١٣) من الآية ٤٠ من سورة ابراهيم .
(١٤) مجاز القرآن ١/٣٤٢ .
(١٥) الآية ٢٢ من ســورة الذاريات .
(١٦) مجاز القرآن ٢/٢٢٦ .
(١٧) من الآية ٨٢ من ســورة يوســف .

مجازه : واسأل من فى القرية ، ثم عقب بقوله : « فهذا كله فيه إضمار ، والعرب تفعل ذلك ، قال الأسدى :

كذبتـــم وبيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب(١٨)

فيه ضمير : التى شاب قرناها ... » .

تعقيب :

هـــذه النصوص من كتاب (مجاز القرآن) توضح لنا أن ابا عبيدة توسع فى القول بحذف الموصول الاسمى مع بقاء صلته ، وأنه لم يسر على نهج البصريين فى المنع ، ولم يلتزم شروط الكوفيين فى الجواز ، ومع ذلك فرأيه — هنا — مقبول ، ومما يقوى ذلك أن أبا حيان — رحمه الله — وهو من فرسان النحو المشهورين — خرج آيات كثيرة فى كتاب الله — تعالى — على حذف الموصول الاسمى ، ومنها الآيات التى أوردها أبو عبيدة وغيرها .

وسأذكر — على سبيل المثال — بعضا منها :

١ — فى قوله تعالى :

« وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة »(١٩) .

---

(١٨) من الطويل قائله : تأبط شرا كما فى معاهد التنصيص ١/١١٥ وهو بلا نسبة فى سيبويه ١/٢٥٩ ، ٢/٦٥ وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج /٢٠ وشرح التصريح ١/١١٧ .

(١٩) من الآية ١٦٤ من سورة البقرة .

قال : « ... وبث فيها ، إن قدرت هذه الجملة معطوفة على ما قبلها من الصلتين احتاجت إلى ضمير يعود على الموصول ، تقديره : وبث به ، وفيه حذف للضمير المجرور من غير استيفاء الشروط ، وتتخرج على أنها من حذف الموصول لفهم المعنى ، والتقدير : و (ما) بث فيها من كل دابة ، فيكون ذلك أعظم ، وحذف الموصول الاسمى جائز شائع فى كلام العرب وإن لم يقسه البصريون ، وخرجت عليه آيات من القرآن ... »(٢٠) .

٢ ــ وفى قوله تعالى :

« وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه »(٢١) قال : « فى قوله (من نذر) دلالة على حذف موصول اسمى قبل قوله (نذرتم) تقديره : أو ما نذرتم من نذر ... وحذف للعلم به ، ولدلالة (ما) قبله عليه كما حذف ذلك فى قول القائل :

أمن يهجو رسول الله منكم ..... (البيت)(٢٢)

لدلالة (من) المتقدمة عليها »(٢٣) .

٣ ــ وفى قوله تعالى :

« ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار »(٢٤) قال :

---

(٢٠) البحر المحيط ١/٤٤٦ .
(٢١) من الآية ٢٧٠ من سورة البقرة .
(٢٢) سبق توضيحه .
(٢٣) البحر المحيط ٢/٣٢٢ .
(٢٤) من الآية ١٠ من سورة الرعد .

« ظاهر التقسيم يقتضى تكرار (من) لكنه حذف للعلم به ... لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين ، وأجازه الكوفيون »(٢٥) .

٤ ـ وفى قوله تعـــالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيمـــا وملكا كبيرا »(٢٦) قال : « قيل : التقدير : إذا رأيت ما ثم ، فحذف (ما) كما حذف فى قوله : (لقد تقطع بينكم) أى : ما بينكم ، قال الزجاج وتبعه الزمخشرى : ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ ، لأن (ثم) صلة لمـــا ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة .

وليس بخطأ مجمع عليه ، بل قد أجاز ذلك الكوفيون ، وثم شواهد من لسان العرب كقوله :

فمن يهجو رسول الله منكم ..... البيت(٢٧)

٥ ـ وفى قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها »(٢٨) .

قال « قرىء (وسعها) وجعل على إضمار (ما) الموصولة » .

« ومواضع أخرى كثيرة »(٢٩) .

---

(٢٥) البحر المحيط ٥/٣٧٠ .

(٢٦) من الآية ٢٠ من سورة الانسان .

(٢٧) سبق شرح البيت قريبا وانظر البحر المحيط ٨/٣٩٦ .

(٢٨) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢٩) البحر المحيط ٢/٣٩٦ ، ٣٦٧ ، ٣/٥١٩ ، ٥/٢٧٥ ، ٧/١٤٧ ، ٢٩٧ ، ٨/٢٢٣ ، ٣١٩ .

الرأى الثانى : القول بزيادة (كان) فى غير مواضع زيادتها :

بين النحاة(١) أن (كان) تجىء زائدة فى الكلام ، وذلك يكون إذا وقعت فى حشو بين متلازمين ، وكانت بلفظ الماضى ، وذلك كأن تقع بين ما وفعل التعجب ، كقولهم : ما كان أحسن زيدا ، وبين الصفة والموصوف ، كقول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام(٢)

وبين العاطف والمعطوف عليه كقول الشاعر :

فى لجة غمرت أباك بحورها فى الجاهلية كان والإسلام(٣)

وبين نعم وفاعلها كقول الآخر :

ولبست سربال الشباب أزورها ولنعم كان شبيبة المحتال(٤)

---

(١) تنظر المسألة فى شرح التسهيل لابن مالك ١/٢٦٠ وشرح ابن عقيل ١/٢٨٨ وشرح الأشمونى ١/٢٣٩ ، ٢٤٠ وشرح الكافية الشافية ١/٤١١ وما بعدها .

(٢) ديوانه ٢/٢٩٠ من الوافر ، وانظره فى : سيبويه والشنمترى ١/٢٨٩ والمقتضب ٤/١١٦ وشرح التسهيل ١/٣٦١ والخزانة ٣٧/ .

(٣) للفرزدق ، ديوانه ٢/٣٠٥ والخزانة ٤/٣٥ وبلا نسبة فى الأشمونى ١/٢٤٠ وهو من الكامل .

(٤) من الكامل ، لم يعرف قائله ، والشبيبة : الشباب . وفيه استعارة تصريحية تبعية فى الفعل (لبست) وهو فى الأشمونى بحاشية الصبان ١/٢٤٠ ، ٢٤١ .

وشذت زيادتها بين الجار ومجروره ، كقول الشاعر :

سراة بنى أبى بكر تسامى على كان المسومة العراب(٥)

وبلفظ المضارع كقول أم عقيل بن أبى طالب :

أنت تكون ماجـــــد نبيل إذا تهب شـــمال بليل(٦)

تلك مواضع بين النحاة أن (كان) فيها تعرب زائدة .

قال ابن مالك : « زيادة (كان) على خلاف الأصل ، فلا تستباح فى غير مواضعها المعتادة »(٧) .

رأى أبى عبيـــدة :

ذكر أبو عبيدة أن (كان) تزاد فى هـــذه المواضع ، وتزاد فى غيرها ، وأورد آيتين كريمتين أعرب فيهما كان زائدة :

الآية الأولى : قوله تعالى : « قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء »(٨) قال : « مجازه : ما يكون لنا ، و (كان) من حروف الزوائد ها هنا قال ابن أحمر :

---

(٥) البيت من الوافر لم يعرف قائله ، وانظره فى شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٦١ وشرح الكافية الشافية ١/٤١٢ والخزانة ٤/٣٣ والعينى ٢/٤١ ويروى المطهمة بدل المسومة .

(٦) رجز ينسب الى أم عقيل بن أبى طالب ، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهو فى الخزانة ٤/٤١ وشرح الكافية الشـــافية ١/٣١٤ .

(٧) شرح التسهيل ١/٣٦١ .

(٨) من الآية ١٨ من ســـورة الفرقان .

ما أم غفر على دعجاء ذى علق ينفى القراميد عنها الأعصم الوقل
فى رأس خلفاء من عنقاء مشرفة لا ينبغى دونها سهل ولا جبل(٩)

... قال أبو عبيدة : أى لا يكون سهل ولا جبل مثلها »(١٠) .

فقد قاس زيادتها فى الآية على ما ورد فى البيت وهـذا ليس من مواضع زيادتها المعهودة .

ـ والآية الثانية : قوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا »(١١) .

قال أبو عبيدة : « مجـازه : ما لكم أن تفعلوا شـيئا من ذلك ، و (كان) من حروف الزوائد قال :

فكيف إذا رأيت ديار قـوم وجيران لنا كانوا كرام(١٢)

القافية مجرورة والقصيدة ، لأنه جعل (كانوا) زائدة للتوكيد ، ولو أعمل (كان) لنصب القافية » .

---

(٩) الغفر ولد الوعل الصـغير ، الدعجـاء : هنا اسم هضـبة ، ذو علق : اسـم جبل ، القراميد : أولاد الوعول واحـدها : قرمود ، القراهيد : الصـغار منها ، والأعصـم : الذى باحـدى يديه بياض ، والوقل : المتوقل فى الجبال ، والخلفاء : الملساء ، والعنقاء : الطويلة .

(١٠) مجاز القرآن ٢/٧١ ، ٧٢ .

(١١) من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .

(١٢) سبق توضيحه انظر مجاز القرآن ٢/١٤٠ .

موقف العلماء من هـذا الرأى :

لا يخفى المراد من زيادة (كان) إذ أنها تمنح المعنى الموجود قوة وتوكيدا ، وليس من شأنها أن تحدث معنى جديدا ، ولا أن تزيد فى المعنى الموجود شيئا إلا التقوية والتأكيد ، ولهذا تجردت عند زيادتها من الحدث الذى يكون فى الفعل •

ولا يخفى ــ أيضا ــ أن القول بزيادة (كان) ليس فيه من الغرابة أو الشذوذ مثل القول بزيادة (إذ) ، لأن (كان) عهدت زيادتها فى مواطن أخرى • قال ابن هشـام : « يجوز نقصـان كان ، وتمامها ، وزيادتها ، وهو أضعفها »(١٣) •

وقال ابن يعيش : « الوجه الثالث من وجـوه (كان) أن تكون زائدة ، دخولها كخروجها ، لا عمل لها فى اسم ولا خبر »(١٤) •

وذهب ابن عصفور إلى أن زيادة (كان) بابها الشعر خاصة وأنها إذا زيدت تكون أبدا دالة على الزمن المـاضى ، ولكن هـذا خـلاف الواقع ، فقد زيدت فى النثر فى اختيـار الكلام ، كقولهم : « ولدت فاطمـة بنت الخرشب الأنمـارية الكملة من بنى عبس لم يوجد كان مثلهم »(١٥) ، وكذلك زيدت بلفظ المضارع كما سبق •

---

(١٣) قطر الندى ص ١٣٥ •

(١٤) شرح المفصل ٩٨/٧ وانظر : ضرائر الشعر ٧٧ ، ٧٨

(١٥) مجمع الأمثال للميدانى ٢٠٥/٢ والخزانة ٨٠/٢ •

هـذا والآيتان اللتان أوردهما أبو عبيدة لا يتجه قول أهل العلم إلى زيادة (كان) فيهما فالمعربون يحملونها على غير الزيادة ، ويظهر ذلك من خلال النصوص الآتية :

ـ قال أبو حيان فى الآية الأولى (ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء)(١٦) ، « وقرأ علقمة ما ينبغى ، بسقوط (كان) وقراءة الجمهور بثبوتها ، وهى أمكن فى المعنى ، لأنهم أخبروا عن حال كانت فى الدنيا ، ووقت الإخبار لا عمل فيه »(١٧) .

وعلى أى حال فالنحاة لا يصرحون بزيادة (كان) فى هـذه الآية السابقة ـ كما قال أبو عبيدة ـ ، وذلك لإمكان توجيه الآية على غير الزيادة ، ولأن القول بزيادتها ضعيف حتى قال ابن عصفور بابه الشعر كما سبق .

وأما الآية الثانية : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله .. »(١٨) .

فيقول السمين : « أن تؤذوا : اسم كان ، ولكم : الخبر ، أى : ما صح وما استقام لكم أن تؤذوا »(١٩) . فقد أعرب (كان) ناقصة وأثبت لها اسما وخبرا .

وفى هـذا رد على أبى عبيدة الذى يقول إن (كان) فى الآية

---

(١٦) من الآية ٥٣ من سورة الفرقان .
(١٧) البحر المحيط ٤٨٨/٦ .
(١٨) من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .
(١٩) الفتوحات الالهية ٤٥٣/٣ .

زائدة بل هي ناقصة ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبرها مقدم ، والمصدر المؤول من أن والفعل بعدها اسمها مؤخر في محل رفع ، وكما هو معلوم لدى النحاة يجوز توسط الخبر بينها وبين اسمها كما ورد ذلك في كثير من الشواهد .

تعقيب :

يستفاد من كلام أبي عبيدة في هـذه المسألة أنه حكم بزيادة كان في غير المواضع التي قررها النحـاة ، فهو لم يلتـزم بالشروط التي حددوها ، فهو بهذا الصنيع قد سلك طريقا غير طريق الجمهور ، ولكن مما يجعل رأيه غير مخالف لإجماعهم ورود القول بزيادة (كان) في غير ما موضع من كلام العلماء ، وفي غير الأماكن التي حددها النحاة ، وسأذكر لذلك عدة أمثلة :

١ ـ في قوله تعـالى : « قالوا : كيف نكلم من كان في المهـد صبيا »(٢٠) .

قال المبرد : « إنما معنى (كان) ها هنا التوكيد ، فكأن التقدير ـ والله أعلم ـ كيف نكلم من هو في المهد صبيا ، ونصب صـبيا على الحال »(٢١) .

وقال ابن يعيش :

« كان في الآية زائدة وليست الناقصـة ، إذ لو كانت الناقصـة

---

(٢٠) من الآية ٢٩ من سـورة مريم .

(٢١) المقتضب ١١٧/٤ .

لأفادت الزمان ، ولو أفادت الزمان لم يكن لعيسى - عليه السلام - فى ذلك معجزة ، لأن الناس كلهم فى ذلك سواء »(٢٢) .

٢ - وفى قوله تعالى : « إنهم كانوا إذا قيلَ لهم لا إله إلا الله يستكبرون »(٢٣) .

قالَ الجملَ : « يستكبرون : فى موضع نصب خبر (كانوا) ، ويجوز أن تكون فى موضع رفع خبر (إن) وكان ملغاة »(٢٤) .

فقد جوزَ هنا أن تكون زائدة ، وهذا الموضع ليس من مواضع زيادتها .

٣ - وفى قوله تعالى : « تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر »(٢٥) .

قالَ أبو حيان : « يجوز أن تكون (كان) - هنا - زائدة(٢٦) .

٤ - وكذلكَ فى قول الحق تبارك وتعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »(٢٧) .

---

(٢٢) شرح المفصل ٩٩/٧ .

(٢٣) من الآية ٣٥ من سورة الصافات .

(٢٤) الفتوحات الالهية ٥٣٠/٣ .

(٢٥) من الآية ١٤ من سورة القمر .

(٢٦) البحر المحيط ١٧٨/٨ .

(٢٧) الآية ٣٧ من سورة ق .

قال ابن هشام : « يجوز نقصان (كان) وتمامها وزيادتها ، وهو أضعفها ، والظرف ــ أى لكم ــ متعلق بها على التمام ، وباستقرار محذوف على الزيادة ، ومنصوب على النقصان »(٢٨) .

فهذه مواضع ــ وغيرها ــ حكم النحاة بأن (كان) يجوز تقديرها زائدة مع أنها ليست من مواضع زيادتها المقررة ، وهذا مما يقوى رأى أبى عبيدة ويجعله مقبولا لوجود أقوال أخرى مثله .

---

(٢٨) المغنى /٦١٧ .

الرأى الثالث : ورود (إلا) عاطفة بمنزلة الواو

تأتى (إلا) لمعان(١) منها .

١ ـ تكون حرف استثناء ، وهو الأصل فيها ، نحو قولك : يفوز المجدون إلا الكسالى وقوله تعالى : « فشربوا منه إلا قليلا منهم »(٢) .

٢ ـ تأتى بمنزلة (غير) فيوصف بها وبتاليها جمع مذكر أو شبهه ، مثال الأول قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »(٣) ، فلو كانت للاستثناء لفسد المعنى كما قيل(٤) فهى بمعنى (غير) .

ومثال الثانى : قول الشاعر :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلا بغامها(٥)

لأن كلمة (الأصوات) فى حكم النكرة لوجود (أل) الجنسية .

٣ ـ تكون زائدة فى الكلام ذكره الأصمعى ، وابن جنى(٦)

---

(١) تنظر المسألة فى الجنى الدانى /٥١٠ ـ ٥٢٢ ورصف المبانى للمالقى /١١٧ ، ومغنى اللبيب ١/٧٠ ـ ٧٤ .

(٢) من الآية ٢٤٩ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(٤) مغنى اللبيب ١/٧٠ ، ٧١ .

(٥) من الطويل ، لذى الرمة ديوانه ص ٣١٣ وانظره فى : الكتاب ١/٣٧٠ والمقتضب ٤/٤٠٩١ والأصول ١/٢٢٢ والخزانة ٢/٥١ .

(٦) رأى الأصمعى وابن جنى فى المحتسب ١/٣٢٨ .

وابن مالك(٧) ، وحملوا عليه قول الشاعر :

حراجيج ما تنفك إلا مناخـــة
على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا(٨)

٤ ــ تأتى عاطفة بمنزلة الواو فى التشريك فى اللفظ والمعنى ذكره أبو عبيـــدة .

رأى أبى عبيـــدة :

مجىء (إلا) عاطفة بمنزلة الواو هـــذا قسم لم يثبته الجمهور ، وأثبته أبو عبيدة وإليك ما استدل به :

١ ــ فى قوله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجـــة إلا الذين ظلموا منهم »(٩) ، قال : « موضـــع (إلا) ها هنا ليس بموضـــع استثناء ، إنما هو موضع واو الموالاة ، ومجازها : لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين ظلموا ، قال الأعشى :

إلا كخارجة المكلف نفسه وابنى قبيصة أن أغيب ويشهدا(١٠)

---

(٧) شرح التســهيل ٢٦٨/٢ .

(٨) من الطويل لذى الرمة ديوانه (١٤٩) انظره فى : الكتاب ٤٢٨/١ ومعــانى القرآن ٢٨١/٣ وأسرار العربية /١٤٢ والخزانة ٢٩/٤ والحراجيج : جمع حرجوج وهى : الناقة الضامرة من الهذال والخسف: الجــوع .

(٩) من الآية ١٥٠ من سورة البقرة .

(١٠) ديوان الأعشى /٢٣١ تحقيــق د/ محمد محمد حســين ط

معناه : وخارجة ، وقال عنز بن دجاجة المـازنى :

من كان أسرع فى تفرق فالج فلبونه جربت معا وأغدت

إلا كناشرة الذى ضـيعتم كالغصن فى غلوائه المتنبت(١١)

يريد : وناشرة الذى ضيعتم » .

٢ ــ وفى قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمـانها إلا قوم يونس »(١٢) ، قال « إلا ــ ها هنا ــ مجاز الواو ، كقولك : وقوم يونس »(١٣) .

والذى يفهـم من كلام أبى عبيـدة السـابق أن (إلا) ليست للاستثناء ، ولا بمنزلة (غير) ، وليست زائدة ، إنما هى حرف عطف يفيـد الموالاة .

=

النموذجية بمصر وانظـره فى : المقتضب ٤١٨/٤ والأصـول فى النحو ٢٩٤/١ وسر صـناعة الاعراب ٢٠٢/١ والشـواهد النحوية فى شـعر الأعشى /٩٩ للباحث .

(١١) البيتان لعنز بن دجاجة فى الكتاب ٣٦٨/١ « بولاق » وله أو لمعاوية بن كاسر المـازنى فى ابن السيرافى /٥٦٣ ولشهاب المـازنى فى الأزهية /١٨٦ وانظر الأصول ٢٢٧/١ واللسان « نبت » « فلج » ومجاز القرآن ٦٠/١ ، ٦١ .

(١٢) من الآية ٩٨ من سورة يونس .

(١٣) مجـاز القـرآن ٢٨٢/١ .

موقف العلماء من هـذا الرأى :

دار حديث بين النحاة حول هـذا الرأى ما بين مؤيد ومعارض ، وفصلوا القول فى إعراب الآيتين الكريمتين موضع الشاهد ، فالكثرة الكاثرة منهم أعربت (إلا) أداة استثناء ، وقليل من أعربها عاطفة بمعنى الواو ، وإليك تفصيلا لهذه الآراء .

١ ـ رأى الفراء : ضعف الفراء أن تكون (إلا) بمعنى الواو ، فقد تكلم فى الآية الأولى وهى قوله تعالى « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا »(١٤) قال : « ... قال بعض النحويين(١٥) : إن (إلا) فى اللغة بمنزلة الواو ، ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا ، لأنى لا أجيز : قام الناس إلا عبـد الله وهو قائم ، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذى بعد (إلا) من معنى الأسماء قبل (إلا) ، وقد أراه جائزا أن تقول : عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا فى هـذا الموضع صلحت وكانت (إلا) فى تأويل ما قالوا ، فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون فى معنى (إلا) كمعنى الواو وليست بها »(١٦) .

فالفراء يرى أن (إلا) لا تكون بمعنى الواو على إطلاقها ، وإنما تكون بمعناها بشروط هى :

---

(١٤) البقـرة ١٥٠ .

(١٥) المقصود بقول الفراء : قال بعض النحويين هو أبو عبيدة كما ذكر المحقق فى ٢٨٧/٢ .

(١٦) معانى القرآن ٢٨٧/٢ .

إذا كان المستثنى مساويا للمستثنى منه ، أو كان المستثنى أكبر من المستثنى منه ، بحيث يكون بمعنى (سوى) أو كانت (إلا) مكررة معطوفة على استثناء قبلها ، دليل ذلك قوله فى موطن آخر :

« والقول الآخر : أن العرب إذا استثنت شيئا كبيرا مع مثله أو مع ما هو أكبر منه ، كان معنى (إلا) ومعنى (الواو) سواء »(١٧) .

أما شرط عطف (إلا) على استثناء قبلها فقد صرح به بقوله : « إنما تكون (إلا) بمنزلة الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها ، فهناك تصير بمنزلة (الواو) كقولك : لى على فلان ألف إلا عشرة إلا مائة ، تريد بـ (إلا) الثانية أن ترجع على الألف ، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها ، فقلت اللهم إلا مائة ، فالمعنى : له ألف ومائة ... »(١٨) .

وقبل أن أترك رأى الفراء إلى غيره من العلماء أقف بعض الوقفات لعلى أصل إلى وجه الصواب فى المسألة .

مع ابن الأنبارى :

نسب ابن الأنبارى القول بأن (إلا) بمنزلة الواو إلى الكوفيين ، قال : « ذهب الكوفيون إلى أن (إلا) تكون بمعنى الواو ، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو »(١٩) .

ولكن الفراء ـ كما وضحنا ـ (وهو رأس من رءوس الكوفيين)

---

(١٧) المرجع السابق ٢/٢٨ .
(١٨) المرجع السابق ١/٨٩ .
(١٩) الانصاف ١/٢٦٦ .

لا يقر هـذا الكلام ، على إطلاقه بل شرطه بشروط عـدة ، بدليل أن الفراء رد كلام أبى عبيـدة لما صرح بأن (إلا) بمعنى (الواو) فنسبة هـذا القول إلى الفراء بعيـدة والصحيح أن هـذا مذهب أبى عبيدة والأخفش — كما سيأتى — .

مع ابن هشام والمرادى :

نسبا إلى الفراء القول بأن (إلا) بمنزلة (الواو) .

قال ابن هشام : « الثالث — أى من أقسام إلا — أن تكون عاطفة بمنزلة الواو فى التشريك فى اللفـظ والمعنى ، ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة وجعلوا منه قوله تعالى : « آيتى البقرة ويونس السابقتين » وتأولهما الجمهور على الاستثناء المنقطع »(٢٠) .

وقال المرادى : « القسم الثالث : التى بمعنى الواو ، وهـذا قسم نفـاه الجمهور ، وأثبته الفـراء والأخفش وأبو عبيـدة (معمر بن المثنى)(٢١) .

ولكن الذى ينظر فى كلام الفراء يدرك للوهلة الأولى أن هـذه النسبة جانبها التوفيق فبالإضافة إلى ما سبق نجد الفراء يوجه الآيتين اللتين أوردهما ابن هشام والمرادى برد كلام أبى عبيدة لا بموافقته .

يقول فى الآية الأولى : « قال بعض النحويين (إلا) فى هـذا

---

(٢٠) مغنى اللبيب ١/٧٣ .

(٢١) الجنى الدانى ٥١٨ ، ٥١٩ .

الموضع بمنزلة الواو كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا ، وهو صواب فى التفسير خطأ فى العربية ... »(٢٢) .

ويقول فى الآية الثانية : « وقد قال بعض النحويين : إن (إلا) فى اللغة بمنزلة الواو ، ومعنى هـذه الآية : لا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ، ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا ... »(٢٣) .

ومن هـذا العرض يتضح أن نسبة هـذا القول لأبى عبيـدة صحيحة ، ونسبته للفراء مجانبة للصواب .

مع السيوطى :

أثبت السيوطى القول بأن (إلا) بمنزلة الواو ، للكوفيين والأخفش ولم يثبته لأبى عبيدة ، قال :

« أثبت الكوفيون والأخفش لـ (إلا) معنى ثالثا وهو العطف كالواو ، وخرجوا عليه : (لئـلا يكون للناس عليكم حجـة إلا الذين ظلموا ، لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلم) أى : ولا الذين ظلموا ، ولا من ظلم ، وتأولهما الجمهور على الاستثناء المنقطع »(٢٤) .

فإثبات هـذا القول للأخفش صحيح ، وللكوفيين ـ كما رأيت ـ غير صحيح ، وكان حريا به أن ينسبه لأبى عبيـدة لأن نصوصه التى نقلناها قريبا من (مجاز القرآن) صريحة فى إثبات ذلك .

---

(٢٢) معانى القرآن ١/٨٩ .
(٢٣) المرجع السابق ٢/٢٨٧ .
(٢٤) همع الهوامع ١/٢٣٠ .

٢ ــ رأى أبى حيان : قال أبو حيان « وقال أبو عبيدة (إلا) بمعنى الواو ، وكان أبو عبيـــدة يضعف فى النحو »(٢٥) ، وقال فى موضع آخر : « وقيل (إلا) بمعنى الواو ، والتقدير : ولا من ظلم ، وهـــذا ليس بشىء ، لأن معنى (إلا) مباين لمعنى (الواو) مباينـــة كثيرة ، إذ الواو للادخال ، وإلا للاخراج ، فلا يمكن وقوع أحدهما فى موقع الآخـــر ... »(٢٦) .

٣ ــ رأى القرطبى : نقل القرطبى الرأى السابق وعلق عليه قائلا : « قال أبو عبيدة : إن (إلا) ــ ها هنا ــ بمعنى الواو ، أى : والذين ظلموا ، فهو استثناء بمعنى الواو ، ... وأبطل الزجاج هـــذا القول وقال : هـــذا خطأ عند الحذاق من النحويين ، وفيه بطـــلان المعانى ، وتكون (إلا) وما بعدها مستغنى عن ذكرهما ... »(٢٧) .

٤ ــ رأى ابن القيم : قال ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد رادا كلام أبى عبيدة : زعم من زعم أن (إلا) قد تأتى بمعنى الواو باطل ، لبعد ما بين معنييهما »(٢٨) .

٥ ــ رأى المـــالقى : قال فى معرض حديثـــه عن (إلا) من حروف المعانى : وزعم بعضهم أن (إلا) تكون بمعنى الواو ... ثم

---

(٢٥) النهر المـاد ١/٤٤١ .

(٢٦) البحر المحيط ٧/٥٧ .

(٢٧) تفسـير القـرطبى ١/٦٥٨ وراجع معـانى القرآن واعرابه للزجاج ١/٢٢٦ / ٢٢٧ .

(٢٨) بدائع الفوائد ١/٢٠٧ .

ساق الشواهد السابقة وعقب بقوله : والصحيح أن (إلا) باقية على بابها من الاستثناء »(٢٩) .

٦ ــ رأى الشوكانى : نقل الشوكانى القول بأن (إلا) بمنزلة الواو ونسبه لأبى عبيدة ثم قال معلقا :

« وأبطل الزجاج هــذا القول ، وقال إنه استثناء منقطع »(٣٠) .

« وبعـــــد » :

فكون (إلا) ــ ها هنا ــ أداة استثناء وليست عاطفة هو قــول الأكثرين من النحاة والمفسرين ، كما رأيت ، وإن كان قول أبى عبيــدة بأنها عاطفة تشرك ما بعدها مع ما قبلها فى الحكم لم يعدم ناصرا ، فإذا تصفحنا كتــاب (معــانى القرآن) للأخفش ــ وهو علم من أعــلام البصريين ، نجده ينص صراحة فى موضعين من كتــابه السالف على مجىء (إلا) بمنزلة (الواو) وهاكهما :

النص الأول :

فى معرض حديثه عن قوله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا » قال(٣١) : « وتكون (إلا) بمنزلة الواو نحو قول الشاعر :

---

(٢٩) رصــف المبانى ١١٧ .

(٣٠) فتح القدير للشوكانى ١/١٥٧ .

(٣١) معانى القرآن للأخفش ١/١٥٢ .

وأرى لها دارا بأغـدرة الســـ
يدان لم يدرس لهـــا رســـم
إلا رمادا هامـــدا دفعـــت
عنه الرياح خوالد سحم ... »(٣٢)

النص الثانى :

فى معرض حديثه عن قوله تعالى : « إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء »(٣٣) • يؤكد المعنى الذى أورده فى الآية السابقة ويقول :

« إلا تدخل فى مثل هـذا الكلام كقول العـرب : ما اشـــتكى إلا خيرا ، فلم يجعل قوله (إلا خيرا) على الشكوى ، ولكنه علم إذا قال لهم : ما أشتكى شيئا ، أنه يذكر من نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا »(٣٤) •

وكذلك قال الفراء — ما عـدا المواضع التى اسـتثناها كما بين البحث — فكون هذين الإمامين يوافقانه يدل على إمكان قبول رأيه ، وإن كان مخالفا لرأى الجمهور — والله أعلم — •

---

(٣٢) هو المخبل السعدى كما فى المفضليات ١١٣ وانظرهما فى معانى القرآن ١٥٢/١ للأخفش •

(٣٣) من الآية ١١ من سورة النمل •

(٣٤) معانى القرآن للأخفش ٤٢٨/٢ •

الرأى الرابع : إبليس بين العجمة والعربية.

يمنع الاسم من الصرف للتعريف والعجمة ، وشرطه أن يكون علما فى اللسان الأعجمى ، وزائدا على ثلاثة أحرف ، كإبراهيم وإسماعيل ، فإن لم يكن الأعجمى علما فى لسان العجم بل فى لسان العرب ، أو كان نكرة فيهما ، صرف ، وكذلك يصرف ما كان علما أعجميا على ثلاثة أحرف ، سواء كان محرك الوسط أو ساكنه(١) .

قال سيبويه : « يمنع الصرف للعلمية والعجمة الأسماء التى وقعت أعلاما فى لغة العجم ، والثلاثى الساكن الوسط ينصرف على كل حال لخفته ، مثل نوح وهود ولوط »(٢) .

وقال فى موضع آخر : « أسماء الملائكة والأنبياء كلها أعجمية ما عدا محمدا وصالحا وشعيبا »(٣) .

وقال المبرد : « إذا كان معرفة فى كلام العجم فغير منصرف ، لامتناعه بالتعريف الذى فيه من إدخال الحروف العربية عليه ، وذلك نحو : إسحاق ، ويعقوب ، وفرعون ، وقارون ، لأنك لا تقول : الفرعون »(٤) .

لم أستبح لنفسى أن أنسب إلى أبى عبيدة رأيا من الآراء إلا ما

---

(١) شرح ابن عقيل على الألفية ٣/٣٣٢ .
(٢) الكتاب ٣/١٩ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المقتضب ٣/٣٢٥ ، ٣٢٦ .

صرح هو به فى (مجاز القرآن) أو نسبه إليه النحاة المتأخرون عنه ، وقد نسب بعضهم إليه أنه قال : إن « إبليس » اسم عربى ، مشتق من الإبلاس ، وهو اليأس من الخير ، ومن هؤلاء العلماء :

١ ــ ابن الشجرى :

قال فى الأمالى : « إلا إبليس ، نصب على الاستثناء المنقطع ، ولم يصرف لأنه أعجمى معرفة •

وقال أبو عبيدة(٥) : هو عربى مشتق من أبلس : إذا يئس من الخير ، ولكنه لا نظير له فى الأسماء(٦) وهو معرفة ، فلم ينصرف لذلك، قلت : إن كان يريد بقوله : (لا نظير له) فى وزنه ، فليس هذا بصحيح ، لأن مثل (إفعيل) كثير فى العربية كقولهم للطلع : إغريض وللعصفر : إحريض ، وللسنام الطويل : إطريح ، ولا خلاف أنك لو سميت بإغريض ونحوه لصرفت ، وإن كان يريد أنه لا نظير له فى هذا التركيب على هذا المثال فكذلك (إغريض) منفرد بهذا التركيب على هذا المثال ، ولو انضم التعريف إلى ذلك لم يمتنع من الصرف وأبو عبيدة إنما كان صاحب لغة »(٧) •

---

(٥) ذكر محقق الأمالى أنه « أبو عبيد » لا ابو عبيدة ولكن قول ابن الشجرى فى آخر هذا النص « وأبو عبيدة انما كان صاحب لغة » تبطل شبهة التحريف لأن هذا الوصف ينصرف الى أبى عبيدة لا غير•

(٦) فيكون سبب منع الصرف العلمية وشبه العجمة على هذا •

(٧) الأمالى الشجرية ١٦٧/٣ •

هـذا كلام ابن الشـجرى آثرت نقـله كاملا ، مع ردوده على الافتراضات التى طرحهـا ، مع العـلم بأن هـذا الكلام لم يثبت عن أبى عبيدة كما ستعرف بعد قليل ، ونقف عند قوله : « وأبو عبيدة إنما كان صاحب لغة » التى تشعر القارىء بضعف هـذا الكلام ناهيك عن طرحه ، وظهر ذلك جليا فى استرساله دفاعا عن رأيه وإبطـالا لحجج أبى عبيدة ، وأترك الرد بعد عرض بقية الآراء .

٢ ـ رأى النحاس :

قال أبو جعفر النحاس : « وإبليس اسم أعجمى ، فلذلك لم ينون وزعم أبو عبيدة : أنه عربى مشتق من أبلس : إلا أنه لم ينصرف لأنه لا نظير له ... »(٨) .

٣ ـ رأى مكى :

وتناول هـذه الكلمة بالإعراب والشرح مكى بن أبى طالب القيسى فى كتابه مشـكل إعراب القـرآن ، قال : « إلا إبليس : نصب على الاستثناء المنقطع ، ولم ينصرف لأنه أعجمى معرفة ، وقال أبو عبيدة : هو عربى ، مشتق من أبلس ، إذا يئس من الخير لكنه لا نظير له ، فى الأسماء ، وهو معرفة ، فلم ينصرف لذلك »(٩) .

هـذا مجمل آراء ابن الشجرى والنحاس ومكى فى هـذه الكلمة وما نسبوه لأبى عبيدة من أنه يرى أنها كلمة عربية دخلها الاشتقاق ،

---

(٨) اعراب القرآن ٢١٢/١ .

(٩) مشكل اعراب القرآن ٨٧/١ .

والاشتقاق لا يدخل إلا الأسماء العربية ، ولكن السؤال الذى يتبادر إلى الذهن هل هذه النسبة صحيحة ؟ وهل قال أبو عبيدة بذلك ؟

رأى أبى عبيدة :

عند حديثه عن قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »(١٠) .

قال : « نصب إبليس على استثناء قليل من كثير ، ولم يصرف إبليس لأنه أعجمى »(١١) .

فهذا النص الصريح القاطع منه يرد به على من نسبوا إليه القول بأنه عربى ، فهو لم يقل ذلك ، وبهذا النص يكون كلام أبى عبيدة فى توجيه هذه الكلمة مستقيما يسير مع رأى جمهور النحويين ، وهو الصحيح . ولا أدرى من أى المصادر استقى منها من قال إنه يقول إنه عربى ! ؟

وقد وجدت نصا للطبرى يذهب فيه إلى أن إبليس عربى مشتق من الإبلاس لأن الاشتقاق لا يكون فى الأسماء الأعجمية ، كما قال أبو حيان(١٢) .

قال الطبرى : « وإبليس إفعيل من الإبلاس ، وهو : الإياس من الخير والندم ... فإن قيل : إن كان إبليس كما قلت فهلا صرف وأجرى ؟

---

(١٠) من الآية ٣٤ من سورة البقرة .
(١١) مجاز القرآن ١٣٨/١ .
(١٢) البحر المحيط ١٣٨/١ .

قيل : ترك إجراؤه استثقالا ، إذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب ، فشبهته العرب إذ كان كذلك بأسماء العجم التى لا تجرى »(١٣) .

تعقيب :

بعد هـذا العرض لهذه المسألة أود أن أشير إلى قضية مهمـة وخطيرة ، وهى وجوب التحقيق مما نقرؤه من آراء ، وما نثبته من نقول عن السابقين ويتحتم الرجوع إلى المصادر الأصلية لهؤلاء العلماء ، وما ذلك إلا لأن القارىء سيكتشف - حتما - عن أوجه من الاختلاف بين بعض المصادر الناقلة والمصادر المنقول منها ، ويتأكد ذلك بعد انتشار الطباعة وبعد أن أظهرت المطابع كما هائلا من الكتب التى كانت مخطوطة إلى عهد قريب ، ولكنها - الآن - أصبحت فى متناول يد الدارسين ، والباحثين ، مما جعل هـذه المهمة أسـهل منهـا لو كانت قبل ذلك ، فالرجوع إلى المصادر والنظر فيها أضحى أمرا سهلا .

إن الإنسان ليهوله أن يجد أقوالا نسبت لعلماء سابقين وأقام بعض الدارسين حولها خلافات ومناقشات كبيرة ، وحقيقـة الأمر أنه لا خلاف من الأصل ، لأن صاحب هـذا الرأى قال بما قال به الجمهور ، والمسألة التى نحن بصددها خير شاهد على ذلك .

---

(١٣) تفسير الطبرى ١/٥٠٩ .

الرأى الخامس : ورود (أم) المنقطعة بمعنى واو العطف

جاءت (أم) فى لغة العرب على أربعة(١) أقسام :

الأول : المتصلة ، وهى المعادلة لهمزة التسوية ، نحو قوله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » أو لهمزة الاستفهام التى يطلب بها و بـــ (أم) التعيين نحو : أقام على أم قعد ؟

وهـــذه المتصلة حرف عطف تعطف المفردات ، وتعطف الجمل(٢) .

الثانى : المنقطعة ، وهى التى لا يكون قبلهـــا إحـــدى الهمزتين السابقتين ، واختلف فى معناها :

فقال البصريون : إنها تقدر بـــ (بل) والهمزة .

وقال الكوفيون : إنها تقدر بـــ (بل) وحدها .

قال المرادى : « فإن قلت : فـــ (أم) المنقطعة هل هى عاطفة ، أو ليست بعاطفة ؟

قلت : المغاربة يقولون : إنها ليست عاطفة لا فى مفرد ولا فى جملة »(٣) .

---

(١) تنظر هذه المسألة فى : سيبويه ١٧٣/٣ ومعانى القرآن للأخفش ١٨١/١ والجنى الدانى ٢٠٤/١ ومغنى اللبيب ٤٤/١ والهمع ١٣٣/٢

(٢) دراسات لأسلوب القرآن د/ محمد عضيمة القسم الأول ٢٩٧/١

(٣) الجنى الدانى /٢٠٦ .

الثالث : الزائدة ، ذهب إلى ذلك أبو زيد ، ومثل لها بقوله تعالى : « أم يقولون افتراه »(٤) .

الرابع : (أم) التى هى حرف تعريف فى لغة حمير ، ونقلت ـ أيضا عن طيىء ، جاء فى الحديث الشريف : « ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر »(٥) .

وقال شاعرهم :

ذاك خليلى وذو يواصلنى يرمى ورائى بأمسهم وامسلمه(٦)

هـذا وقد عقد العـلامة الأستاذ الدكتور/ محـمد عبد الخالق عضيمة ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ فصلا كاملا فى كتابه دراسـات لأسلوب القرآن (القسم الأول) عن لمحات(٧) عن دراسـة (أم) وفرق بين (أم) المتصلة ، و (أم) المنقطعة من عدة وجوه ، وقـد أفدت منه فى هـذا المبحث .

رأى أبى عبيـدة :

يرى أبو عبيدة أن (أم) المنقطعة تأتى بمعنى واو العطف ، جاء ذلك عنه فى موضعين :

---

(٤) من الآية ٣ من سورة السجدة .

(٥) روى هـذا الحـديث عن كعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ ينظر هذا الحديث فى مجمع الزوائد ٣/١٦١ والجامع الصغير ص ٢٧٥ .

(٦) من المنسرح تنسب الى بحير بن غنمة الطائى ينظر فى : شرح عمدة الحافظ /٨ وشرح الكافية الشافية ١/١٦٥ .

(٧) دراسات لأسلوب القرآن القسم الأول ج ١ ص ٢٩٦ .

الموضع الأول : عند حديثه عن قوله تعالى : « لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه »(٨) .

قال : « مجاز (أم) ها هنا مجاز الواو ويقولون »(٩) .

والموضع الثانى : عند حديثه عن قوله تعالى : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه »(١٠) .

قال : « مجازه مجاز (أم) التى توضع فى موضع الواو »(١١) .

موقف العلماء من هذا الرأى :

تناول النحاة (أم) بالدراسة والتحليل فى كتبهم ، ويهمنى - هنا - أن أذكر آراء الذين تناولوا كلام أبى عبيدة بالدراسة والمناقشة والتأييد أو التفنيد .

١ - رأى أبى حيان :

أورد أبو حيان هذا الرأى لأبى عبيدة ولم يعلق عليه - كعادته مع آرائه - مما يدل على موافقته إياه . قال عن حديثه عن قوله تعالى : « أم يقولون افتراه » « أم متضمنة معنى (بل) و (الهمزة)

---

(٨) من الآيتين ٣٧ ، ٣٨ من سورة يونس ..

(٩) مجاز القرآن ١/٢٧٨ .

(١٠) من الآيتين ٢ ، ٣ من سورة السجدة .

(١١) مجاز القرآن ٢/١٣٠ .

على مذهب سيبويه(١٢) ... وقال أبو عبيدة (أم) بمعنى الواو ، ومجازه : ويقولون »(١٣) .

٢ ــ رأى ابن هشام :

ذكر فى معرض حديثه عن (أم) المنقطعة ما يلى :

« وزعم أبو عبيدة أنها ــ أى المنقطعة ــ تأتى بمعنى الاستفهام المجرد ، قال فى قول الأخطل :

كذبتــك عينــك أم رأيت بواسط
غلس الظلام من الرباب خيالا(١٤)

إن المعنى : هلّ رأيت ؟ »(١٥) .

مناقشة رأى ابن هشام :

قال ابن هشام : « إن أبا عبيدة زعم أن (أم) المنقطعــة تأتى بمعنى الاستفهام المجرد فقط ، ولكن هــذا غير الواقع ، فالقارىء لكلام أبى عبيدة يراه يفسر (أم) هــذه بمعنى (بل) فى أكثر من موضع من كتابه ، بل إن جملة أقواله فى (أم) لا تؤيد ما نسبه إليه ابن هشام

---

(١٢) الكتاب ١/٤٩١ ، ٤٩٢ .
(١٣) البحر المحيط ٥/١٥٨ .
(١٤) من الكامل ديوان الأخطل صـ ٣٨٥ وانظره فى الكتاب ١/٤٨٤ والمقتضب ٣/٢٩٥ والأمالى الشجرية ٣/١٠٩ وشرح التصريح ٢/١٤٤ .
(١٥) مغنى اللبيب ١/٤٥ وانظر الجنى الدانى /٢٠٥ .

إن لم تكن تنفيها ، لأنه نفى فى كلام صريح أن تكون (أم) بمعنى هل ، أو ألف الاستفهام ، وفسرها بـ (بل) .

قال فى حديثه عن قول الله تعالى : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت » : « أم : تجىء بعد كلام قد انقطع ، وليست فى موضع هل ولا ألف الاستفهام »(١٦) .

وعند حديثه عن قوله تعالى : « أم يقولون افتراه » ـ من سورة السجدة ـ قال : « مجازة مجاز أم التى توضع فى موضع الواو ، ومعنى بل ، سبيلها : ويقولون ، وبل يقولون »(١٧) .

وكذلك فى قوله تعالى : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »(١٨) جعل أبو عبيدة (أم) فى الآية بمعنى (بل) ، وأورد بيت الأخطل السابق (الذى استشهد به ابن هشام فى دعواه) وجعل (أم) فيه بمعنى (بل) . ولم يجعله للاستفهام المجرد كما قال ابن هشام .

قال أبو عبيدة ما نصه : « لم يستفهم ، إنما أوجب أنه رأى بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا »(١٩) ، فنسبة هذا الكلام لأبى عبيدة غير الظاهر المعلن من كلامه فينبغى إعادة النظر فى كلام ابن هشام .

---

(١٦) مجاز القرآن ١/٥٦ .
(١٧) المرجع السابق ٢/١٣٠ .
(١٨) من الآية ١٩ من سورة الطور .
(١٩) مجاز القرآن ٢/٢٣٣ .

(جـ) أنها تكون بمعنى واو العطف للموالاة •

قال فى قوله تعالى : « أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار »(٢١) : « من فتح الأول جعلها استفهاما وجعل (أم) جوابا لها ، قال طرفة :

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه(٢٢)

ومن لم يستفهم ففتحها على القطع فإنها خبر ، ومجاز (أم) مجاز (بل) ، وفى القرآن : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين »(٢٣) مجازها : بل أنا خير من هذا ، لأن فرعون لم يشك فيسأل أصحابه إنما أوجب لنفسه »(٢٤) •

فهذا النص يحتمل الاستفهام والإضراب ، وقد سبق نقل نصوصه التى تفيد معنى واو العطف فى صدر هذا البحث •

فلعل السيوطى قرأ كلامه فى مكان دون مكان آخر حتى حكم عليه بما قال •

---

(٢١) من الآية ٦٣ من سورة ص •

(٢٢) ديوانه ص ٧٢ وانظره فى اللسان ٢/١٠١٠ ومجاز القرآن ١٨٦/٢ •

(٢٣) من الآية ٥٢ من سورة الزخرف •

(٢٤) مجاز القرآن ١٨٦/٢ ، ١٨٧ •

٣ - رأى السيوطى :

تناول السيوطى - رحمه الله - (أم) بالدراسة والتمحيص فى كتابه (همع الهوامع) ، وفى أثناء حديثه عنها نسب لأبى عبيدة أنه لم يذكر (أم) من حروف العطف وأنكرها ، وهذا قول فيه غرابة من السيوطى ، ولنستمع إلى كلامه قال :

« أم - وأنكرها أبو عبيدة (معمر بن المثنى) وتبعه : - محمد ابن مسعود الغزى - ابن صاحب البديع ، فقال : ليست بحرف عطف ، بل بمعنى همزة الاستفهام ... »(٢٠) .

مناقشة رأيه :

هذا ما قرره السيوطى لأبى عبيدة ولكن بالرجوع إلى مجاز القرآن وجدت أبا عبيدة يقرر أن (أم) تكون عاطفة بمنزلة الواو .

وقد سبق قريبا نقل كلامه بنصه (فى آيتى يونس والسجدة) ، وكلامه صريح فى أنها - أى أم - تفيد العطف بمنزلة الواو .

فهل من يقول : إن (أم) تكون بمعنى واو العطف ينكر أن تكون عاطفة ؟ ولعل ما حدا بالسيوطى أن يقول ذلك أن أبا عبيدة فسر (أم) فى عدة مواضع من كتابه ، والذى يقرأ كلامه يخرج بالآتى :

(أ) أنها تجىء معادلة لهمزة الاستفهام .

(ب) أنها تكون للاضراب بمعنى (بل) .

---

(٢٠) همع الهوامع ١٣٢/٢ .

الرأى السادس : زيادة « إن » بعد العطف

يقرر النحاة أن هناك حروفا تزاد فى الكلام ومن ذلك :

١ ـ الباء : كما فى قوله تعالى : « ألست بربكم »(١) ، وقوله تعالى : « وما أنتم بمؤمنين »(٢) .

٢ ـ من : كما فى قوله تعالى : « ما لكم من إله غيره »(٣) ، وقوله ـ سبحانه ـ « هل من خالق غير الله »(٤) .

٣ ـ اللام : كما فى قوله تعالى : « للذين هم لربهم يرهبون »(٥) ، وقوله سبحانه « إن كنتم للرؤيا تعبرون »(٦) .

٤ ـ الواو : كما فى قوله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج »(٧) .

الجواب : قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » .

قال الفراء : الواو مقحمة(٨) .

---

(١) من الآية ٢٧٢ من سورة الأعراف .
(٢) من الآية ٨ من سورة البقرة .
(٣) من الآية ٥٩ من سورة الأعراف .
(٤) من الآية ٣ من سورة فاطر .
(٥) من الآية ١٥٤ من سورة الأعراف .
(٦) من الآية ٤٣ من سورة يوسف .
(٧) من الآية ٩٦ من سورة الأنبياء .
(٨) معانى القرآن ١٢٠/٢ .

٥ ـ لا : كقوله تعالى : « غير المغضوب عليهم ولا الضالين »(٩) ، وقوله تعالى : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات »(١٠) .

٦ ـ ما : كما فى قوله تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم »(١١) ، وقوله ـ سبحانه « عما قليل ليصبحن نادمين »(١٢) .

وغير ذلك كثير .

رأى أبى عبيدة :

نسب لأبى عبيدة رأى انفرد به عن النحاة وهو القول بزيادة « إن » ـ بكسر الهمزة وسكون النون ـ بعد العاطف كما فى قول النمر ابن تولب :

سقتها رواعد من صيف وإن من خريف فلن يعدما(١٣)

وممن نسب إليه هذا القول : الفارسى ، وأبو حيان ، والمرادى ، وابن هشام والبغدادى .

---

(٩) من الآية ٧ من سورة الفاتحة .

(١٠) من الآية ٢٢ من سورة فاطر .

(١١) من الآية ١٥٠ من سورة آل عمران .

(١٢) من الآية ٤٠ من سورة المؤمنون .

(١٣) ديوانه ١٠٤ من المتقارب ، ورواية الديوان (سقتها) انظره فى : سيبويه ١/١٣٥ والخصائص ٢/٤٤١ وشرح المفصل ٨/١٠٢ وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٢٩ والجنى الدانى /٥٣٤ .

رأى الفارسى :

قال الفارسى : « اختلفوا فى قول الشاعر :

سقته الرواعد ..... البيت

فجملة سيبويه(١٤) على أنه (إما) ـ المكسورة الهمزة ـ التى تجىء لأحد الأمرين نحو : ضربت إما زيدا وإما عمرا ، تقديره : سقته الرواعد إما من صيف وإما من خريف ، فحذف (إما) الأولى ، لأن المبقاة تدل عليها ، ومثل ذلك قول الفرزدق :

نهاض بدار قد تقادم عهدها وإما بأموات ألم خيالها(١٥)

فحذف (إما) ، والتقدير : نهاض إما بدار ، وإما بأموات : فكذلك سقته الرواعد إما من صيف ، وإما من خريف ، فحذف (إما) هذا مذهب سيبويه . فى البيت ... وقال أبو عبيدة :

(إن) زائدة ، تقديره : سقته الرواعد من صيف ومن خريف ، وجاز زيادة (إن) ـ هنا ـ كما جاز زيادتها فى نحو : ما إن فعلت ، وهذا نحو قولك : ضرب القوم زيداً من داخل ومن خارج(١٦) .

---

(١٤) الكتاب ١/١٣٥ ، ٢٦٧ ، ٣/١٤١ .

(١٥) من الطويل ديوان الفرزدق ٢/٧١ ، من مصادره :
المنصف ٣/١١٥ وشرح المفصل ٨/١٠٢ وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٢٨ والخزانة ٤/٤٢٧ وهو فى ملحقات ديوان ذى الرمة ٣/٦٧٢ وبلا نسبة فى الأشمونى ٣/١١٠ والمقرب ١/٢٣٣ .

(١٦) كتاب الشعر لأبى على الفارسى ١/٨٥ ، ٨٦ تحقيق د/محمود الطناحى ط : الخانجى بمصر ١٤٠٨هـ .

فالفارسى ذكر رأى أبى عبيدة فى البيت ، وبين أنه قال بأن (إن) فى قوله (وإن من خريف) زائدة ، وهـذا هو مذهبه فيها .

رأى أبى حيـــان :

بعد أن أورد أبو حيان البيت المذكور (سقته الرواعد ...) وذكر مذاهب النحويين فيه قال : « وذهب أبو عبيدة إلى أن (إن) زائدة ، والتقدير : من صيف ، ومن خريف »(١٧) .

رأى المرادى :

حذا المرادى حذو أبى حيان فبعد أن ذكر أقوال العلماء فى البيت السابق قال : « وذهب أبو عبيدة إلى أن (إن) زائدة ، والتقدير : من صيف ومن خريف »(١٨) .

رأى ابن هشـــام :

هـذا العالم صرح بما صرح به غيره ونسب القول بزيادة هـذا الحرف لأبى عبيدة ، قال « إما ـ المكسورة المشـددة ـ مركبة عنـد سيبويه من (إن) وما (ما) ، وقد تحذف (ما) كقوله :

سقته الرواعـد من صـيف ..... البيت

أى : إما من صيف ، وإما من خريف ، وقال المبرد والأصمعى : (إن) فى البيت شرطية ، والفاء فاء الجواب ، والمعنى : وإن سقته من

---

(١٧) الارتشاف ٢/٦٤٢ .

(١٨) الجنى الدانى ٥٣٤ .

خريف فلن يعدم الرى ، وليس بشىء ، لأن المراد وصف هـذا (الوعل) بالرى على كل حال ، ومع الشرط لا يلزم ذلك ، وقال أبو عبيدة : إن ـــ فى البيت ـــ زائدة »(١٩) .

رأى البغـدادى :

بعد أن ذكر البغدادى كلاما طويلا فى شرح هـذا البيت وبيـان معناه ، قال : « وزعم أبو عبيدة أن (إن) زائدة ، وجاءت زيادتها كما جاءت فى نحو : ما إن فعلت ، كقولك : ضرب القوم زيدا من داخل ومن خارج »(٢٠) وكلامه فى شرح أبيات المغنى(٢١) يطابق ما هنا .

تعقيب :

نسبة القول بزيادة (إن) بعد العاطف لأبى عبيدة محل شك ، فهو وإن كان قد توسع فى الكلام على الزيادة ، وبخاصة فى الحروف ، وبعض آرائه فى الزيادة كانت مثار نقد وجه إليه ، ولم يسلم منـه ، وبعضها الآخر سلم منه لأنه مألوف عند النحاة ، مقرر فى قواعدهم .

وقرأت (مجاز القرآن) له ، ووقفت عند هـذا البيت الذى ساقه العلماء للتدليل على ما قال ، ولكنى وجدته يسرد هـذا البيت المذكور مع بيت آخر قبله ، لا لهذا الأمر الذى ذكروه ، وإنما ليستشهد بهما على

---

(١٩) مغنى اللبيب ١/٥٩ .
(٢٠) الخزانة ٤/٤٣٤ .
(٢١) شرح أبيات المغنى ١/٣٨٤ .

بيان المعنى اللغوى لكلمة « المسجور » فى قول الله تعالى : « والبحر المسجور »(٢٢) .

قال : « والبحر المسجور أى : يعصه فى بعض من الماء ، قال النمر بن تولب :

إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسما
سقتها رواعد من صيف وإن من خريف فلن يعدما(٢٣)

فأبو عبيدة لم يشر - هنا - إلى زيادة (إن) مع إيراده البيت الذى ساقه العلماء للتدليل على قوله .

ولعل قوله بزيادة (إن) ورد فى غير (مجاز القرآن) من كتبه الأخرى التى لم أقف عليها .

---

(٢٢) الآية ٦ من سورة الطور .

(٢٣) مجاز القرآن ٢/٢٣٠ ، ٢٣١ وقد سبق تخريج البيت هامش (١٣) من هذا المبحث .

المبحث الثالث

الآراء النحوية التى انفرد بها وردت

الرأى الأول : القول بزيادة (إن) فى آية

(إن) حرف ، والحرف عهدت زيادته ، وقد قيل : (زيادة الحروف فى التنزيل كثير)(١) . ومع ذلك لم ينكر النحاة أن (إن) تأتى زائدة ، وإنما بينوا أنها تكون حرف توكيد ناسخ ، ينصب الاسم ويرفع الخبر ، نحو : إن محمدا ذاهب ، وتكون - أيضا - حرف جواب بمعنى (نعم) كما ذكر ذلك سيبويه(٢) وغيره ، وبعضهم(٣) ذكر لها عشرة أقسام ، ولم يرد فى هذه الأقسام العشرة زيادتها .

رأى أبى عبيدة :

عند حديثه عن قول الله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة »(٤) ، يرى أبو عبيدة أن (إن) الثانية زائدة فى الآية .

قال : « مجازه : الله يفصل بينهم و (إن) من حروف الزوائد »(٥) .

---

(١) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ١/١٣٥ .
(٢) الكتاب ١/٤٧٥ وانظر الأمالى الشجرية ٢/٦٥ .
(٣) الجنى الدانى ٤٠٠ ، ٤٠١ ومغنى اللبيب ١/٣٩ .
(٤) من الآية ١٧ من سورة الحج .
(٥) مجاز القرآن ٢/٤٧ .

موقف العلماء منه :

مما يجدر ذكره هنا أن هـذا الرأى فيه مخالفة لما عليه جمهور النحاة ، فمع أن الحروف قد عهدت زيادتها ـ كما سبق ـ إلا أنهم يمنعون فى هـذه الآية أن تكون (إن) زائدة ويوجهون الآية على وجهين :

الأول : أن تكون (إن) الثانية توكيدا للأولى لطول الكلام ، وهذا موافق للقاعدة التى تقول « إن الحرف إذا كرر توكيدا أعيد معه ما اتصل به أو ضمير ما اتصل به ، وهـذا قد أعيد معه ما اتصل به ، وهو اسم الجلالة ـ سبحانه ـ وعلى هـذا لا يكون قوله : « إن الله يفصل بينهم » خبرا لـ (إن) الأولى .

الثانى : أن تكون (إن) الثانية مع اسمها وخبرها فى محل رفع خبرا لـ (إن) الأولى وحسن دخول (إن) فى الخبر ـ وإن كان جملة ـ لطول الفصل بينهما .

قال أبو البركات الأنبارى فى الآية : « لم يذكر خبر لـ (إن) وفى خبرها وجهان :

أحدهما : أن يكون محذوفا ، والثانى : أن يكون قوله تعالى : « إن الله يفصل بينهم »(٦) .

وقال الزجاج : « وخبر إن الأولى جملة الكلام مع إن الثانية ، وقد زعم قوم أن قولك : إن زيدا إنه قائم ردىء ، وأن هـذه الآية إنما

---

(٦) البيان فى غريب اعراب القرآن ٢/١٧٠ ، ١٧١ .

صلحت فى الذى ، ولا فرق بين الذى وغيره فى باب (إن) إن قلت : إن زيدا إنه قائم كان جيدا »(٧) .

والناظر فى رأى أبى عبيدة السابق يجد أنه قد جانبه التوفيق فيه ، فالقول الكثير الغالب أنها - أى إن - لا تحذف من جملتها التى ذكرت فيها .

ولعل هذا هو السر فى أننى لم أقف على من ذكر له هذا القول من النحاة والمفسرين فلم يشتهر رأيه هذا فى الكتب التى جاءت بعده ، رغم وجوده فى (مجاز القرآن) ، وما ذلك إلا لغرابته ومخالفته المشهور .

رأيان ومناقشة :

فى حين ذكر أبو عبيدة رأيا غريبا فى زيادة (إن) خالف به المشهور ، ولم يشتهر هذا الرأى عنه لا فى كتب أعاريب القرآن ولا فى غيرها . نجد فى المقابل من نسب إليه رأيا فى (إن) لم يقل به ، بل قال بما قال به الجمهور ، وإليك البيان :

نسب المرادى وابن هشام إلى أبى عبيدة إنكاره أن تجىء (إن) بمعنى (نعم) ، والواقع أنه ذكر أنها - تأتى بمعنى (نعم) فى نص صريح .

ونسوق كلامهما ثم نعقب برأيه .

---

(٧) معانى القرآن واعرابه ٣/٤١٧ .

قال المرادى : « القسم الثانى من أقسام (إن) أن تكون حرف جواب بمعنى (نعم) ذكر ذلك سيبويه والأخفش ، وحمل المبرد على ذلك قراءة من قرأ •

« إن هذان لساحران »(٨) ، وأنكر أبو عبيدة أن تكون إن بمعنى نعم »(٩) •

وقال ابن هشام : « إن ــ المكسورة المشددة ــ على وجهين :

أحدهما : أن تكون حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر •

الثانى : أن تكون حرف جواب بمعنى نعم ، خلافا لأبى عبيدة »(١٠) •

ولكن الحقيقة أن أبا عبيدة فسر (إن) بمعنى (نعم) ، كما فعل غيره ، قال أبو عبيدة : « قال بشر بن هلال : (إن) بمعنى الابتداء والإيجاب ، ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذى بعدها ، فترفع الخبر ولا تنصبه ، كما تنصب الاسم ، فكان مجاز (إن هذان لساحران) مجاز كلامين ، مخرجه إنه ، أى : نعم ، ثم قلت : هذان ساحران »(١١) •

فهذا نص يبين أنه فسر (إن) بمعنى (نعم) فى الآية الكريمة ، وهو يبطل كلام المرادى وابن هشام •

---

(٨) من الآية ٦٣ من سورة طه •

(٩) الجنى الدانى ٣٩٨ •

(١٠) مغنى اللبيب ٣٧/١ •

(١١) مجاز القرآن ٢١/٢ ، ٢٢ •

وهو ـ كما سبق ـ رأى سيبويه والأخفش والمبرد وكثير من النحاة(٢٢) .

قال الزجاج : « قال النحويون القدماء : إن معنى (إن) معنى (نعم) والمعنى : نعم ، هذان ساحران ، وينشدون(١٣) :

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت : إنه(١٤) »

وقال ابن الشجرى(١٥) :

« بعض النحويين جعل إن ـ فى هذا البيت ـ بمعنى نعم ، وجعل الهاء للسكت ، ومثله فى استعمال إن بمعنى نعم قول الآخر(١٦) :

تمالوا غدرت فقلت إن ، وربما نال المنى وشفى الغليل الغادر

---

(١٢) الكتاب ١/٤٧٥ ، والأمالى الشجرية ٢/٦٥ ، والخزانة ٤/٤٨٥ ، والصحاح (أفن) .

(١٣) لعبد الله بن قيس الرقيات ، ديوانه /٦٦ وانظره فى الكتاب ١/٤٧٥ وابن يعيش ٣/١٢٠ ، والخزانة ٤/٤٨٥ ، والجنى الدانى/٣٣٩ .

(١٤) معانى القرآن واعرابه ٣/٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(١٥) الأمالى الشجرية ٢/٦٥ أو ٤٢ .

(١٦) من الكامل ، لم أقف على قائله ، ينظر فى المراجع الآتية : شرح المفصل ٣/١٣٠ والخزانة ٤/١٨٥ وشرح أبيات المغنى ١/٢٩٠

الرأى الثانى : القول بزيادة « إذ »

« إذ » لفظ مشترك يكون اسما ، ويكون حرفا ، وقد ذكر النحاة له ستة(١) أقسام :

الأول : أن يكون ظرفا لما مضى من الزمان ، نحو : قمت إذ قام زيد ، وهى مبنية لافتقارها إلى ما بعدها من الجمل ، وتكسر لالتقاء الساكنين .

الثانى : أن يكون ظرفا لما يستقبل من الزمان ، بمعنى إذا ، مثل قوله تعالى : « إذ الأغلال فى أعناقهم »(٢) .

الثالث : أن يكون للتعليل ، كقوله تعالى : « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم »(٣) .

وقول الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم
إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر(٤)

---

(١) الجنى الدانى /١٨٥ ، ومغنى اللبيب ١/٨٠ وانظر : أسلوب « اذ » فى ضوء الدراسات القرآنية والنحوية ص ٤٧ وما بعدها للدكتور عبد العال سالم مكرم ط مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) من الآية ٧٠ من سورة غافر .

(٣) من الآية ٣٩ من سورة الزخرف .

(٤) للفرزدق ديوانه ١/١٨٥ من البسيط ، انظره فى سيبويه ١/٢٩ والمقتضب ٤/١٩١ ، أسرار العربية /١٤٦ ، والخزانة ٢/١٣٠

الرابع : أن يكون للمفاجأة ، ولا يكون كذلك إلا إذا وقع بعد (بينا) و (بينما) نص على ذلك سيبويه(٥) ومنه قول الشاعر :

استقدر الله خيرا وارضين به
فبينما العسر إذ دارت مياسير(٦)

الخامس : أن يكون للشرط فيجزم به ، ولا يكون كذلك إلا إذا ضم إليه (ما) وإذا تجرد من (ما) لزمه الإضافة ، والإضافة من خصائص الأسماء .

السادس : أن يكون للتحقيق بمعنى (قد) كقوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة »(٧) .

قال ابن هشام : « وليس هذا القول بشيء »(٨) .

رأى أبي عبيدة :

ادعى أبو عبيدة إن (إذ) تأتي زائدة ، ومعنى زيادتها : أنها لغو ، لا تحتمل معنى ، ولا تعطي بيانا ، ولا تفيد شيئا جديدا ، إلا التأكيد .

وإليك أقواله فيها :

---

(٥) الكتاب ١٨٥/٢ .

(٦) نسب البيت لعثير بن لبيد العذري ، ونسب لحريث بن جبلة العذري في اللسان (دهر) وانظره في المراجع الآتية : الكتاب١٥٨/٢، والأمالي الشجرية ٢٠٧/٢ ومجالس ثعلب /٢٦٥ وشرح شذور الذهب/١٢٦

(٧) من الآية ٣٠ من سورة البقرة .

(٨) مغني اللبيب ٨٣/١ .

١ ـ عند حديثه عن قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة »(٩) قال : « ومن مجاز ما يزاد فى الكلام من حروف الزوائد قال الله تعالى : « إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »(١٠) وقال : « فما منكم من أحد عنه حاجزين »(١١) وقال : « وإذ قال ربك للملائكة »(١٢) مجاز هذا أجمع إلقاؤهن »(١٣).

٢ ـ وفى قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا »(١٤) قال : « معناه : وقلنا للملائكة ، و (إذ) من حروف الزوائد »(١٥) ثم ساق الشاهدين الآتيين على زيادتها :

قول الأسود بن يعفر :

فإذا وذلك لا مهاة اذكره والدهر يعقب صالحا بفساد(١٦)

وقول عبد مناف بن ربع الهذلى :

---

(٩) من الآية ٣٠ من سورة البقرة .
(١٠) من الآية ٢٦ من سورة البقرة .
(١١) من الآية ٤٧ من سورة الحاقة .
(١٢) من الآية ٣٠ من سورة البقرة .
(١٣) مجاز القرآن ١/١١ .
(١٤) من الآية ٣٤ من سورة البقرة .
(١٥) مجاز القرآن ١/٣٦ ، ٣٧ .
(١٦) الأسود بن يعفر بن عبد الأسود شاعر جاهلى ، من بنى نهشل ابن دارم أخباره فى الخزانة ١/٩٠ والبيت من الكامل ، انظره فى : اللسان (مهمه) ٦/٤٢٩١ وجامع البيان ١/١٥٠ .

حتى إذا أسلكوهم فى قتـــائده
شلا كما تطـــرد الجمالة الشردا(١٧)

٣ — وفى قوله تعـــالى : « إذ قالت امرأة عمران »(١٨) قال : « معناها : قالت امرأة عمران »(١٩) .

٤ — وفى قوله تعالى : « وإذ تأذن ربكم »(٢٠) قال : « مجازه : وآذنكم ربكم وإذ من حـــروف الزوائد ، وتأذن : تفعل ، من قولهم : آذنتـــه »(٢١) .

موقف العلماء من هـــذا الرأى :

لم يمر رأى أبى عبيدة على العلماء من غير تعليق ، فقـــد صوبوا إليه سهام النقد ، والذى دعاهم إلى ذلك أنه قول غريب ، لأن الأسماء ما وضعت إلا لتدل على المعانى ، وبها تتم أجزاء الجملة ، وإذا زيد اسم أصـــبح لا معنى له ، وهـــذا بدوره يؤدى إلى تمزيق أوصـــال الجملة وتحويلها إلى كلام لا معنى له ، فالقول بزيادتها فيه إجحاف .

وإليك طائفة من أقوال العلماء الذين ردوا كلام أبى عبيدة :

---

(١٧) عبد مناف بن ربع الهذلى ترجمته فى الخزانة ١٧٣/٣ والبيت من البسيط ديوان الهذليين ٦٧٥/٢ وانظره فى : الانصاف /٢٤٥واللسان (ش٠ر٠د) والاقتضاب /٤٠٢ والهمع ٢٠٧/١ .

(١٨) من الآية ٣٥ من سورة آل عمران .

(١٩) مجـــاز القرآن ٠٩/١ .

(٢٠) من الآية ٧ من سورة ابراهيم .

(٢١) مجـــاز القرآن ٣٣٥/١ .

١ ـ نقد الزجاج له :

قال الزجاج : « قال أبو عبيدة : إن « إذ » هنا زائدة ، وهذا إقدام من أبى عبيدة ، لأن القرآن ينبغى ألا يتكلم فيه إلا بغاية تحرى الحق ، وإذ : معناها الوقت وهى اسم ، فكيف تكون لغوا ومعناها الوقت ؟ »(٢٢) .

٢ ـ نقد الطبرى له :

قال الطبرى : « زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله (إذ قال ربك) : وقال ربك ، وأن (إذ) من الحروف الزوائد ، وأن معناها الحذف ... والأمر فى ذلك بخلاف ما قال ، وذلك أن « إذ » ظرف يأتى بمعنى الجزاء ، ويدل على الوقت ، وغير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى فى الكلام »(٢٣) .

تعقيب على رأى الطبرى :

الذى يظهر من كلامه تجاهله ذكر اسم أبى عبيدة على عكس غيره من العلماء الذين أوردوا هذه المسألة ، فقد صرحوا باسمه .

ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى ضعف رأيه فى قضية زيادة « إذ » وأن أبا عبيدة لم يكن التوفيق حليفه فيما ذهب إليه ، وإلا فما سر هذا التعبير الذى يوحى بالاستخفاف حينما قال : زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب ؟ لأن شهرة أبى عبيدة بالغريب كما أخبر عنه

---

(٢٢) معانى القرآن واعرابه ١٠٨/١ .
(٢٣) تفسير الطبرى ٤٣٩/١ ، ٤٤٠ .

ابن قتيبة فى قوله : « كان الغريب أغلب عليه ، وأيام العرب وأخبارها »(٢٤) .

وكأن الطبرى يقر بطرح هذا الرأى وعدم التعويل عليه لتجرده من الفائدة ، ولا شك أن تجاهل اسمه ، وجعله منسوبا إلى أهل العلم وليس منهم ، ذلك يحمل فى طياته الغض من قدره فى مجال النحو والإعراب .

ولو أن الطبرى ـ رحمه الله ـ خفف من حدة هذا النقد لكان أفضل ، لأنه اجتهاد أخطأ فيه صاحبه فله أجره ، والله من وراء القصد .

٣ ـ نقد النحاس له :

فند أبو جعفر النحاس هذا الرأى قائلا : « إذ : اسم وهى ظرف زمان ليس مما يزاد ، قال أبو إسحاق : ذكر الله عز وجل خلق الناس وغيرهم ، فالتقدير : ابتدأ خلقهم إذ قال ربك »(٢٥) .

فالنحاس ينكر أن « إذ » تكون زائدة ، ويرى أنها متعلقة بمحذوف تقديره : ابتدأ خلقكم إذ قال ، وهو ما يفهم من كلام الزجاج أيضا ، فالله قد عدد لعباده النعم ، وعرفهم ما كان من أمر خلقهم .

٤ ـ نقد القرطبى له :

شارك القرطبى الزجاج والنحاس فى رد كلام أبى عبيدة فعند حديثه عن قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة » قال : « وقال معمر

---

(٢٤) راجع البغية ٢/٢٩٥ .

(٢٥) اعراب القرآن ١/٢٠٧ .

ابن المثنى (أبو عبيـــدة) إذ : زائدة ، والتقدير : وقال ربك ، واستشهد بقول الأسود بن يعفر (السابق) وأنكر هـــذا القول الزجاج والنحاس، وجميع المفسرين »(٢٦) .

٥ ــ نقـــد أبى حيان له :

قال أبو حيان : « اختلف النحويون فى إذ ، فذهب أبو عبيـــدة ، وابن قتيبة إلى زيادتها ، وهـــذا ليس بشىء وكان أبو عبيدة وابن قتيبة ضعيفين فى علم النحو »(٢٧) .

وفى قوله تعـــالى : « إذ قالت امرأة عمران » ، قال : « وذهب أبو عبيدة إلى أن : « إذ » زائدة ، والمعنى : قالت امرأة عمران ، وتقدم له نظير هـــذا القـــول فى موضـــع ، وكان أبو عبيـــدة يضـــعف فى النحو ... »(٢٨) .

٦ ــ نقـــد المرادى له :

تابع المرادى أبا حيان فى نقده فقال : « السادس من أنواع «إذ» أن تكون زائدة ، ذهب إلى ذلك أبو عبيدة ، وجعل من ذلك قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة » ومواضع أخرى فى القرآن ، ومذهبه فى ذلك ضعيف ، وكان يضعف فى علم النحو »(٢٩) .

---

(٢٦) تفسير القرطبى ٢٦٢/١ .
(٢٧) البحر المحيط ١٣٩/١ .
(٢٨) المرجـع الســابق .
(٢٩) الجنى الدانى /١٩١ ، ١٩٢ .

٧ - نقد ابن هشام له :

حذا ابن هشام حذو أبى حيان والمرادى فقال : « بقى من معانيها - أى إذ - التوكيد ، وذلك بأن تحمل على الزيادة قاله أبو عبيدة ، وتبعه ابن قتيبة ، وحمل عليه آيات منها (وإذ قال ربك للملائكة) ... ثم قال : وليس هذا القول بشىء »(٣٠) .

هذه أهم الآراء التى تولت الرد على أبى عبيدة فى كلامه السابق ، ويجدر بى إتماما للفائدة أن أسوق آراء الذين ألمحوا إلى موافقة أبى عبيدة فى رأيه ومن هؤلاء : ابن قتيبة ، والرضى ، والطاهر ابن عاشور .

١ - قال ابن قتيبة(٣١) : « وإذ قد تزاد ، كقوله : وإذ قال ربك للملائكة ، وإذ قال لقمان لابنه »(٣٢) .

٢ - وقال الرضى : « قيل فى نحو : وإذ واعدنا ، إنها زائدة »(٣٣) .

٣ - وقال الشيخ الطاهر بن عاشور فى قوله تعالى : « وإذ قال ربك للملائكة » :

---

(٣٠) مغنى اللبيب ٨٣/١ بتصرف .
(٣١) تأويل مشكل القرآن ١٩٦ .
(٣٢) من الآية ١٣ من سورة لقمان .
(٣٣) شرح الكافية ١٠٨/٢ .

« الذى ينساق إليه أسلوب النظـم أن يكون العطف على جملة (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) أى : خلق لكم ما فى الأرض ، وقال للملائكة إنى خالق أصل الإنسـان ، ... وتكون إذ على هـذا مزيدة للتأكيد ، قاله أبو عبيدة (معمر بن المثنى) وأنشد قول الأسود بن يعفر (السابق) ولا يشكل عليه أن شأن الزيادة أن تكون فى الحروف ، لأن إذ ، وإذا ، ونحوها عوملت معاملة الحروف »(٣٤) •

فهو يوجه الآية بعطف (قال) على (خلق) قبلها ، ويلزم على ذلك زيادة : إذ ، لأن المعنى حينئذ : هو الذى خلق لكم ما فى الأرض وقال للملائكة اسجدوا •

فهو يؤيد ـ بهذا التوجيه للآية ـ قول أبى عبيـدة ، ويبين أنه لا إشكال على هـذا بقولهم : إن الأسماء لا تزاد ، فهو يوضح أن (إذ) و (إذا) عوملا معاملة الحروف •

وبعد ... فقد عرضت للآراء التى ردت كلام أبى عبيدة فى إذ ، وكلام المؤيدين لرأيه ، ولكنى لا أميل لرأيه لأن إذ ـ فى الحقيقة ـ اسم جىء به لمعنى فى الكلام ، ومن غير الصواب أن نقول بزيـادة هـذا الاسم الذى يمثل أحد ركنى الجملة الاسمية •

---

(٣٤) التحرير والتنوير ٣٩٧/١ •

قال ابن هشام : « القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم ، بل زيادة الاسم لم تثبت »(٣٥) .

وقال العلامة محمود شاكر ـ رحمه الله ـ : « هـذا والشاهدان اللذان ذكرهما أبو عبيدة فى زيادة (إذا) لا فى زيادة (إذ) ، وهو من جـرأة أبى عبيـدة وخطئـه ، وأيا ما كان قائله فهـو جـرىء مخطىء »(٣٦) .

---

(٣٥) المغنى ١/١٨٠ .

(٣٦) هامش الطبرى ١/٤٤٠ .

الرأى الثالث : القول بأن الكاف تأتى للقسم

تأتى الكاف فى اللغة لعدة معان(١) منها :

أنها تكون حرف جر ، كقولك : محمد كالأسد ، وما بعدها مجرور بها ، ويكون المقصود بها التشبيه ، والكاف الجارة قسمان :

زائدة ، وغير زائدة .

وغير الزائدة لها معنيان :

الأول : التشبيه كما سبق . والثانى : التعليل .

ومثلوا له بقوله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا »(٢) قال ابن مالك : « وورودها للتعليل كثير كقوله تعالى : « واذكروه كما هداكم »(٣) ، وقوله تعالى : « ويكأنه لا يفلح الكافرون »(٤) .

وزاد ابن مالك معنى ثالثا ، وهو أن تكون بمعنى (على) كقول بعض العرب : (كخير) فى جواب كيف أصبحت(٥) ؟

---

(١) الجنى الدانى /٧٨ ومغنى اللبيب ١/١٧٦ ـ ١٨٢ وشرح الأشمونى ٢/٢٢٤ .

(٢) من الآية ١٥١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

(٤) من الآية ٨٢ من سورة القصص .

(٥) شرح التسهيل ٣/١٧٠ .

أما الكاف الزائدة فقد وردت فى كلام العرب كثيرا ، ومثل لهـا العلماء بقوله تعالى : « ليس كمثله شىء »(٦) .

والمعنى : ليس مثله شىء ، وفائدة زيادتها توكيد النفى كما قرر ، قال ابن هشام : (والقول بزيادة الحـرف أولى من القـول بزيادة الاسم)(٧) .

رأى أبى عبيـدة :

بين أبو عبيدة أن (الكاف) تأتى ويراد بها (القسم) جاء ذلك عنه فى شرحه لقوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »(٨) ، قال : « مجازها مجاز القسم كقولك : والذى أخرجك ربك ، لأن (ما) فى موضع (الذى) وقال الشاعر :

دعينى إنما خطئى وصوبى على وإن ما أهلكت مال(٩)

أى : وإن الذى أهلكت مال ، وفى آية أخرى : « إنما صنعوا كيد ساحر »(١٠) أى : إن الذى فعلوه كيد ساحر ، فلذلك رفعوه »(١١) .

---

(٦) من الآية ١١ من سورة الشورى .

(٧) مغنى اللبيب ١/١٨٠ .

(٨) من الآية ٥ من سورة الأنفال .

(٩) من الوافر لأوس بن غلفـاء انظره فى مجـالس الزجاجى /٦٢ وشرح بانت سعاد /٢٧ والدرر اللوامع ٢/٧٩ ، ٨٠ .

(١٠) من الآية ٦٩ من سورة طه .

(١١) مجـاز القـرآن ١/٢٤٠ ، ٢٤١ .

فهو يسوق هـذه الشواهد ليدلل على أن الكاف للقسم ، و (ما) بعدها بمعنى (الذى) .

موقف العلماء من هـذا الرأى :

لم يقـابل هـذا الرأى منـه بالرضى والاستحسان من النحاة والمفسرين ، فقد حكاه مكى بن أبى طالب ولم يعلق عليه ، قال : « وقيل : الكاف بمعنى الواو للقسم ، أى : الأنفال لله والرسول والذى أخرجك ، وهو قول أبى عبيدة(١٢) .

وقال الطبرى : « قال آخرون : هى ـ أى الكاف ـ بمعنى القسم، ومعنى الكلام : والذى أخرجك ربك »(١٣) .

هـذا وقد شنع ابن الشجرى على مكى بن أبى طالب لحكايته إياه بقوله : « والقول الآخر التابع لمـا قبله فى الرذالة ، والأخذ بالحظ الوافر من الاستحالة قولُ من زعم أن الكاف للقسم بمنزلة الواو ، وهذا مما لا يجوز حكايته ، فضلا عن تقبله ، وما علمت فى مذهب أحد ممن يوثق بعلمـه فى النحو ـ بصرى ولا كوفى ـ أن الكاف تكون بمنزلة الواو فى القسم ، فلو قال قائل : كالله لأخرجن ، يريد : والله لأخرجن ، لاستحق أن يبصق فى وجهه » .

ثم قال : « وأقرب هـذه الأقوال إلى الصحة ، أن الكاف تكون نعتا للمصدر الذى هو حقا ، لأمرين : أحدهما تقارب ما بينهما ، والآخر :

---

(١٢) مشكل اعراب القرآن ١/٣١٠ .

(١٣) جامع البيان ٩/١٨٢ .

أن إخراجه من بيته كان حقا ، بدلالة وصفه له بالحق فى الآية وإيراد مكى لهذا القول الفاسد من غير إنكاره دليل على أنه كان مثل قائله فى عدم البصيرة »(١٤) .

تعقيب على كلام ابن الشجرى :

الذى يظهر من الكلام السابق أن فيه تحاملا على أبى عبيدة وشدة وعنفا تجاوز الحد الأدنى من مسائل الخلاف التى تقع بين العلماء بعضهم مع بعض ، فما كان ينبغى لابن الشجرى أن تصل به الحدة إلى ما وصلت ، فرأى أبى عبيدة — وإن كان ضعيفا — لكنه لا يسوغ أن يقال فيه ذلك من عالم له مكانته وقدره ، فلكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة ، ولكل عالم هفوة ، وكل بنى آدم خطاء ، وجل من تنزه فى عليائه عن الخطأ والنسيان .

وممن رد رأى أبى عبيدة أبو حيان ، حيث قال فى قوله تعالى :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »(١٥) .

التقدير : والله الذى أخرجك من بيتك يجادلونك فى الحق قاله أبو عبيدة وكان ضعيفا فى النحو »(١٦) .

وقد أبطل ابن هشام كلام أبى عبيدة من وجوه ، حيث قال :

« قول أبى عبيدة إن الكاف حرف قسم ، وأن المعنى : الأنفال لله

---

(١٤) الأمالى الشجرية ٣/١٨٤ ، ١٨٥ بتصرف .

(١٥) من الآية ٥ من سورة الأنفال .

(١٦) البحر المحيط ٤/٤٥٩ ،

والرسول والذى أخرجك ... ويبطل هـذه المقالة أربعـة أمور ، أن الكاف لم تجىء بمعنى واو القسم ، وإطلاق (ما) على الله ـ سـبحانه وتعالى ـ ، وربط الموصول بالظـاهر وهو فاعل أخـرج ، وباب ذلك الشعر ، كقوله :

فيارب ليـــلى أنت فى كلّ موطن
وأنت الذى فى رحمة الله أطمع(١٧)

ووصله بأول السورة مع تباعد ما بينهما ... »(١٨) .

والخلاصـــــة :

أن الكاف تأتى فى اللغة لمعان متعددة بينها العلماء ، وشرحوها ، ولم يأت فى كلامهم أنها تكون للقسم بمعنى الواو ، كما ذهب إلى ذلك أبو عبيدة ، فقوله هـذا قول بعيـد ، مرغوب عنه .

---

(١٧) من الطويل ، لمجنون ليلى فى العينى ٤٩٧/١ والدرر ٦٤/١ وليس فى ديوانه ، وهو بلا نسـبة فى الهمـع ٨٧/١ وشرح التصريح ١٤٠/١ والأشمونى ١٤٦/١ .

(١٨) مغنى اللبيب ٥٤٦/٢ بتصرف .

الرأى الرابع : الجزم بـ « لن »

(لن) حـرف نفى(١) ، ينصب الفعل المضـارع ، ويخلصـه للاستقبال ، ولا يلزم أن يكون النفى بها للتأكيد ، واختلف النحويون فيها بين البساطة والتركيب .

فمذهب سيبويه(٢) والجمهور أنها بسيطة .

ومذهب الخليل(٣) والكسائى أنهـا مركبة ، وأصلها (لا أن) حذفت الهمزة تخفيفا ، والألف لالتقاء الساكنين ، فصارت (لن) .

ومذهب الفراء(٤) أن أصلها (لا) أبدلت ألفها نونا ، وهو ضعيف كما حكم عليه النحاة ، لأنه دعوى لا دليل عليها ، ولأن (لا) لم توجد ناصبة فى موضع .

هـذا مجمل ما ذكره العلمـاء فيهـا ، ولكن هل وردت (لن) جازمة ؟

---

(١) قال سيبويه : « لن وهى نفى لقوله سيفعل » الكتاب ٤٠٧/١ وانظر المسألة فى : الجنى الدانى/٢٧٠ ـ ٢٧٢ ومغنى اللبيب ٢٨٥/١ وشرح الكافية للرضى ٢١٨/٢ .

(٢) الكتاب ٤٠٧/١ .

(٣) المرجع السـابق .

(٤) لم أجده فى معـانى القـرآن وهو فى شرح السـيرافى للكتاب (مطبوع) ٨٣/١ .

رأى أبى عبيـــدة :

نسب أبو جعفر النحاس لأبى عبيدة قوله : « إن (لن) يجـــزم بها ، قال : « قال أبو عبيدة : من العرب من يجزم بـــ (لن) كما يجزم بـــ (لم)(٥) أهـ

لم أجد نصا يدعم هـــذا القول فلعله ذكره فى كتب أخرى اطلع عليها النحاس ولم أقف عليها •

وابن هشام أورد هـــذا الكلام لكنه لم ينسبه لأبى عبيـــدة ، بل صدره بكلمة : (وزعم بعضهم) ، وغالبا ما يوردها مع كلام أبى عبيدة • قال(٦) : « وزعم بعضهم أنها ـــ أى لن ـــ قد تجزم ، كقوله :

أيادى ســـبا يا عز ما كنت بعـــدكم
فلن يحلّ لعينين بعـــــدكَ منظر(٧)

وقولُ الآخـــــر :

لن يخب الآن من رجـــــــائك من
حـــرك من دون بابك الحلقـــــه(٨)

---

(٥) اعراب القرآن ١/٢٠٠ •

(٦) مغنى اللبيب ١/٢٨٥ •

(٧) الشاهد لكثير عزة ديوانه ص ٢٠٤ من مراجعه :
المغنى ١/٢٨٥ وشرح شواهده ٥/١٦٠ والمستقصى ٢/٩٠ واللسان (سبا) والجنى الدانى /٢٧٢ والأشمونى ٣/٢٧٨ •

(٨) هو لأعرابى يمدح الحســين بن على رضى الله عنه ، كما فى شرح شواهد المغنى ٥/١٦١ ، ١٦٢ وانظره فى : المغنى ١/٢٨٥ والأشمونى ٣/٢٧٨ ، والهمع ٢/٤ •

كذلك ذكر هـــذا الكلام ابن أم قاســم المـرادى ولم ينسبه لأبى عبيــدة .

قال(٩) : « ذكر بعض النحويين أن من العرب من يجزم بـــ (لن) تشبيها لها بـــ (لم) .

قال الشاعر :

فلن يحلّ للعينين بعدك منظر(١٠)

قيــل :

وأظهر من هــذا أن يكون حذف الألف ، واجتزأ بالفتحة التى قبلها لأنها تدل عليها ... » .

وهــذا كلام أورده بنصه فى (شرح التسهيل) له(١١) .

وقال السيوطى(١٢) : « وحكى الجزم بـــ (لن) لغة ، وأنشــد عليــه :

لن يخب الآن من رجـــــائك ..... البيت

وقال الأشمونى(١٣) : « زعم بعضهم أنها ــ أى لن ــ قـــد تجـــزم » .

---

(٩) الجنى الدانى /٢٧٢ .
(١٠) البيت سبق تخريجه فى هذا المبحث .
(١١) شرح التسهيل للمرادى ٣٠٤/٤ (رسالة) بتحقيقنا .
(١٢) همع الهوامع ٤/٢ .
(١٣) الأشـــمونى ١٧٨/٣ .

« تعقيب » :

لا شك أن نصب الفعل المضارع هو عمل (لن) وهو المقرر المألوف ، أما كون أبى عبيدة يقول بأنها تجزم الفعل المضارع فهو ـ وإن كان بعيدا ـ أولى من حمل ذلك على الضرورة أو الشذوذ ، فعملها النصب لا يحول دون إمكان عملها الجزم ، لسببين :

الأول : لأنه يمثل لغة قوم من العرب ، وهم على اختلاف مساكنهم معتد بكلامهم .

والثانى : لوجود المشابهة بينها وبين (لم) ، فعملها الجزم محمول عليها ، وهو ما يسمى عند النحاة بـ (التقارض)(١٤) ، وهو : أن تستعير أداة من الأخرى حكما هو أخص بها ، وهو وارد كثير فى الحروف ، فقد جزموا بـ (أن) حملا على (لم) كما فى قول الشاعر :

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا
تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب(١٥)

كما نصبوا بـ (لم) حملا على (لن) كما فى قراءة من قرأ :

---

(١٤) الأشباه والنظائر ١/٣٨ .

(١٥) من الطويل لامرىء القيس ديوانه ٣٨٩ وانظره فى :
المحتسب ٢/٢٩٥ والمغنى /٣٠ والتذييل والتكميل ٦/٥٢٠ (رسالة) والأشمونى ٣/٢٨٤ .

« ألم نشرح لك صدرك »(١٦) بنصب الفعل (نشرح) .

فالتقارض فى الحروف كثير ، فما المانع أن يكون الجزم بـ (لن) من هذا القبيل ؟

قال البغدادى(١٧) : « قال البطليوسى : ذكر اللحيانى أن بعض العرب يجزمون بالنواصب وينصبون بالجوازم » .

فكل هذا مسوغ للجزم بها ، لقوة المشابهة بين المحمول والمحمول عليه .

وقبل أن أترك الحديث عن (لن) فى هذا المبحث أود أن أنبه على جزئية صغيرة فيها وهى أن كثيرا من النحاة المتأخرين كابن الناظم(١٨) وأبى حيان(١٩) والمرادى(٢٠) والأشمونى(٢١) وغيرهم

---

(١٦) قال ابن جنى فى المحتسب ٣٣٦/٢ :

« قال الخليل بن أسد النوشجانى قال : حدثنا ابو العباس قال : سمعت أبا جعفر المنصور يقرأ : « الم نشرح لك صدرك بالفتح » .

(١٧) شرح أبيات المغنى ١٦٢/٥ وراجع : شرح التصريح ٢٤٧/٢ وحاشية الشيخ يس العليمى ٢٤٧/٢ على الشرح المذكور .

(١٨) تكملة شرح التسهيل لابن مالك ١٤/٤ .

(١٩) ارتشاف الضرب ٣٩١/٢ .

(٢٠) توضيح المقاصد ١٧٤/٤ .

(٢١) شرح الأشمونى ٢٧٨/٣ .

(٢١) شرح الأشمونى ٢٧٨/٣ .

نسبوا رأيا فى (لن) ـ هـذه ـ لابن السراج ، وهو مجيئها للدعاء ، واستدلوا بقول الله ـ تعالى ـ حكاية عن موسى ـ عليه السلام ـ : « فلن أكون ظهيرا للمجرمين »(٢٢) .

ولكنى تتبعت ذلك فى (الأصـول فى النحو) و (الموجـز) وكلاهما له ، فلم أعثر على ما يؤيد هـذا ، بل إن ما وجدته يناقض ذلك ، قال : « والدعاء بـ (لن) غير معروف إنما الأصل أن يكون بلفظ الأمر والنهى »(٢٣) ، وبهذا يعلم أن القول بأنها تأتى للدعاء ليس قول ابن السراج ، وإنما هو قول الفـراء كما نص عليـه فى (معـانى القرآن)(٢٤) .

---

(٢٢) من الآية ١٧ من سورة القصص .

(٢٣) الأصول فى النحو لابن السراج ٢/١٤٣ .

(٢٤) معانى القرآن للفراء ٢/٣٠٤ .

الرأى الخامس : قوله بالجر على الجوار فى القرآن الكريم

من علامات الاسم التى يعرف بها (الجر) وهو يشمل الجر بالحرف ، كقولك : مررت بمحمد ، وبالمضاف ، نحو : قولك : غلام محمد ، وبالمجاورة للمجرور فى النعت مثل قولهم : (هـذا جحر ضب خرب) والجر بالمجاورة ضعيف كما ذكر السيوطى(١) .

والسؤال : هل ورد ذلك فى القرآن الكريم ؟

رأى أبى عبيـدة :

أثبت أبو عبيدة الجر على الجوار فى آيتين من كتاب الله عز وجل وذلك على النحو التالى :

١ ــ عند حديثه عن قوله تعالى : « يسئلونك عن الشهر الحـرام قتال فيه »(٢) قال : « مجرور بالجوار لمـا كان بعده (فيـه) كناية للشهر الحرام ، قال الأعشى(٣) :

لقـد كان فى حـول ثواء ثويتـه
تقضى لبانات ويسـأم سـائم »(٤)

---

(١) الهمع ٢/٥٥ .

(٢) من الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

(٣) البيت من ديوانه ص ٧٧ من قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر ، وهو من الطويل من مراجعه :
الكتاب ٣/٣٨ (هارون) والمقتضب ١/٢٧ ، ٤/٢٩٧ والأصول ٢/٤٨

(٤) مجاز القرآن ١/٧٢ .

٣ ـ عند حديثه عن قوله تعالى : « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم »(٥) قال : « مجرور بالمجرورة التى قبلها ، وهى مشتركة بالكلام الأول من المغسول ، والعرب قد تفعل هذا بالجوار »(٦) .

ويستفاد من كلام أبى عبيدة أن قراءة النصب بالعطف على المغسول ، كأنه قال : اغسلوا أرجلكم بعد قوله : (فاغسلوا وجوهكم) وقراءة (الجر) على الجوار لمجاورتها لـ (رءوسكم) .

موقف العلماء من هذا الرأى :

لم يستحسن العلماء رأى أبى عبيدة هنا ، ولم يرتضوه ، وردوا عليه ، قال أبو جعفر النحاس :

« قال أبو عبيدة : هو مخفوض على الجوار ، قال أبو جعفر : لا يجوز أن يعرب شيء على الجوار فى كتاب الله عز وجل ولا فى شيء من الكلام ، وإنما الجوار غلط(٧) ، وإنما وقع فى شيء شاذ ، وهو قولهم : (هذا جحر ضب خرب) والدليل على أنه غلط قول العرب فى التثنية : (هذان جحرا ضب خربان ، وإنما هذا بمنزلة الإقواء(٨) ولا يحمل شيء من كتاب الله ـ عز وجل ـ على هذا ، ولا يكون إلا بأفصح اللغات وأصحها »(٩) .

---

(٦) مجاز القرآن ١/١٥٥ .

(٥) من الآية ٦ من سورة المائدة .

(٧) ذهب الكوفيون الى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار انظر الانصاف /٦٠٢ وما بعدها .

(٨) الاقواء فى الشعر : اختلاف حركة الروى بالكسر والضم .

(٩) اعراب القرآن ١/٣٠٧ .

وقد نقل العكبرى - أيضا - كلام أبى عبيدة السابق ورده قائلا : « قال أبو عبيدة هو مجرور على الجوار ، وهو بعيد ، لأن الجوار من مواضع الضرورة والشذوذ ، ولا يحمل عليه ما وجدت عنه مندوحة »(١٠) .

وقال أبو البركات الأنبارى : « وقولهم : جحر ضب خرب ، محمول على الشذوذ الذى يقتصر فيه على السماع لقلته ولا يقاس عليه ، لأنه ليس كل ما حكى عنهم يقاس عليه »(١١) .

وقد وجه العلماء الآية الأولى وهى قوله تعالى : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » بأن (قتال) بدل اشتمال من (الشهر) ألا ترى أن الشهر مشتمل على القتال ، والهاء فى (فيه) تعود على الشهر :

قال ابن يعيش : « والثالث : بدل الاشتمال ، نحو قولك : سلب زيدا ثوبه ، وأعجبنى عمرو علمه ، وحسنه ، وأدبه ، ونحوها من المعانى ، فالثانى بدل من الأول ، وليس إياه ولا بعضه ، وإنما هو شىء اشتمل عليه ، والمراد بالاشتمال : أن يتضمن الأول والثانى فيفهم من فحوى الكلام أن المراد غير المبدل منه ، وذلك أنك لما قلت : أعجبنى زيد ، فهم أن المعجب ليس زيدا ، من حيث هو لحم ودم ، وإنما ذلك معنى فيه ، وعبرة الاشتمال : أن تصح العبارة بلفظه عن ذلك الشىء ، فيجوز أن

---

(١٠) املاء ما من به الرحمن ١/٤١٧ .

(١١) الانصاف /٦١٥ .

تقول : سلب زيد ، وأنت تريد : ثوبه ، وأعجبنى زيد ، وأنت تريد : علمه وأدبه ، ونحوهما من المعانى ، قال تعالى :

« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » فالقتال بدل من الشهر الحرام وهو معنى اشتمل عليه الشهر »(١٢) .

وقال الزجاج : « قتال : مخفوض على البدل من الشهر الحرام »(١٣) .

وقال النحاس : « الخفض عند البصريين على بدل الاشتمال »(١٤) .

وهناك من العلماء من وجه الجر فى (قتال) فى الآية السابقة على أنه مجرور بحرف جر مقدر ، أى : عن قتال فيه ، قال بذلك الكسائى والفراء .

جاء فى معانى القرآن : « وهى فى قراءة عبد الله عن قتال فيه ، فخفضه على نية (عن) مضمرة »(١٥) .

وقد تصدى النحاس لرأيهما قائلا : « لا يجوز إضمار (عن) والقول فيه أنه بدل »(١٦) ، وكذلك فعل العكبرى حيث رد رأى الكسائى والفراء قال :

---

(١٢) شرح المفصل ٣/٦٤ ، ٦٥ .
(١٣) معانى القرآن واعرابه ١/٢٨٩ .
(١٤) اعراب القرآن ١/٣٠٧
(١٥) معانى القرآن ١/١٤١ .
(١٦) اعراب القرآن ١/٣٠٧

« وهو ضعيف جدا ، لأن حرف الجر لا يبقى عمله بعد حذفه فى الاختيار »(١٧) •

أما الآية الثانيـــة وهى قوله تعـــالى : « وامســـحوا برءوسكم وأرجلكم » فقد وجه العلماء قراءة الجر فيها على أن الأرجـــل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب المـــاء عليها ، فكانت مظنـــــة للإسراف المذموم ، المنهى عنه ؛ فعطف على الرابع الممسوح لا لتمسح ، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب المـــاء • وهـــذا التوجيـــه للزمخشرى ـــ رحمه الله ـــ(١٨) •

وقال جماعة هو عطف على الرءوس ، والآيـــة منسوخة بالسنة بإيجاب غسل الأرجل ، فهى منسوخة على هـــذه القراءة •

وأما الرازى فقد أبطل القول بأن الجـــر فى قـــراءة الكسر على الجوار ، فقال : « هـــذا باطل من وجوه :

الأول : أن الكسر على الجوار معدود فى اللحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله يجب تنزيهه عنه •

ثانيهما : أن الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما فى قولهم (جحر ضب خرب) فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتا للضب ، بل للجحر ، وفى هـــذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل •

---

(١٧) الاملاء ٤١٧/١ •

(١٨) الكشاف ٥٩٧/١ •

ثالثها : أن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب »(١٩) .

« تعقيب »

الجر على الجوار نادر ، والقرآن لا يحمل على النادر ، وإنما يحمل على الفصيح الذائع ، ورغم هـذه الردود على أبى عبيـدة من علماء لهم مكانتهم وباعهم الطويل فى هـذا المضمار إلا أن رأيه هـذا لاقى قبولا من بعض العلماء .

فقد وجدت جماعة من النحاة والمفسرين وجهوا بعض آيات من القرآن الكريم على الجر بالجوار ، ولا أغالى إذا قلت إن الآية نفسها التى قال فيها أبو عبيدة بالجر على الجوار وهى قوله تعالى : « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم » خرجت عندهم على الجر على الجوار ـ أيضا ـ . وإليك نماذج للتدليل على ذلك :

١ ـ قال أبو حيان فى قوله تعالى : « كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف »(٢٠) : « وصف اليوم بيوم عاصف ، وإن كان من صفة الريح ، على سبيل التجوز ، كما قالوا : يوم ماحل ، وليل نائم .. وقيل : عاصف من صفة الريح ، إلا أنه لما جاء بعد اليوم أتبع إعرابه كما قيل : جحر ضب خرب ، يعنى أنه خفض على الجوار »(٢١) .

---

(١٩) مفاتيح الغيب ٥/٥٩٤ ، ٥٩٥ .

(٢٠) من الآية ١٨ من سورة ابراهيم (عليه السلام)ـ.

(٢١) البحر المحيط ٥/٤١٠ .

٢ ـ وقال الزمخشري عند حديثه عن قوله تعالى : « وواعدناكم جانب الطور الأيمن »(٢٢) قرىء : الأيمن بالجر على الجوار ، نحو : جحر ضب خرب(٢٣) .

٣ ـ وقال ابن هشام في قوله تعالى : « وحور عين »(٢٤) : قيل بالجوار في وحور عين ، فيمن جرهما »(٢٥) .

٤ ـ وقال ابن هشام ـ أيضا ـ في قوله تعالى : « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم »(٢٦) : « قيل في (وأرجلكم) بالخفض على أنه عطف على (أيديكم) لا على (رءوسكم) إذ الأرجل مغسولة ، لا ممسوحة ، ولكنه خفض لمجاورة رءوسكم »(٢٧) .

وأختم هذا المبحث بذكر رأى طريف لابن جنى في الجر على الجوار أورده في كتابه القيم (الخصائص) قال :

« فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ، ما رأيته أنا في قولهم : (هذا جحر ضب خرب) فهذا يتناوله آخر عن أول ، ويقال عن ماض ، على أنه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذى لا يحمل

---

(٢٢) من الآية ٨٠ من سورة طه (عليه السلام) .
(٢٣) الكشاف ٣/٧٩ .
(٢٤) من الآية ٢٢ من سورة الواقعة .
(٢٥) مغنى اللبيب ٢/٧٦٠ .
(٢٦) من الآية ٦ من سورة المائدة .
(٢٧) مغنى اللبيب ٧٦٠ ، ٧٦١ .

عليه ، ولا يجوز رد غيره إليه ، وأما أنا فعندى أن فى القرآن الكريم مثل هـذا الموضع نيفا على ألف موضع ، وذلك أنه على حذف المضاف لا غير، فإذا حملته على هـذا الذى هو حشو الكلام من القرآن والشعر سائغ وسلس ، وشـاع وقبل ، وتلخيص هـذا أن فى أصله : هـذا جحر ضب خرب جحره ، فيجرى (خرب) وصفا على (ضب) وإن كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقول : مررت برجل قـائم أبوه ، ... فلما كان أصله كذلك حذف (الجحر) المضاف إلى الهاء ، وأقيمت الهاء مقامه ، فارتفعت ، لأن المضاف المحذوف كان مرفـوعا ، فلما ارتفعت اسـتتر الضمير المرفوع فى نفس (خرب) فجرى وصفا على (ضب) ، وإن كان الخراب للجحر لا للضب ، على تقدير حذف المضاف »(٢٨) .

---

(٢٨) الخصائص لابن جنى ١/١٩١ ، ١٩٢ .

ثبت بأهم مراجع البحث

١ ـ أخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى ، تحقيق د/ محمد إبراهيم البنا ط : دار الاعتصام ـ القاهرة ١٤٠٥هـ .

٢ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى ، تحقيق د/ مصطفى أحمد النماس ، مطبعة المدنى ـ القاهرة ١٤٠٤هـ .

٣ ـ الأصول فى النحو لابن السراج ، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى ط : مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٥هـ .

٤ ـ أمالى ابن الشجرى ، تحقيق د/ محمود محمد الطناحى ، ط ـ مكتبة الخانجى القاهرة ١٤١٣هـ .

٥ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى ، تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ .

٦ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف لأبى البركات الأنبارى ، تحقيق الشيخ/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط : دار الفكر ـ القاهرة (بلا تاريخ) .

٧ ـ البحر المحيط ، لأبى عبد الله محمد بن يوسف بن على أبى حيان الأندلسى ، ط : دار الفكر ـ (بلا تاريخ) .

٨ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطى ، تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : عيسى الحلبى ١٣٨٤هـ .

٩ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن ، لأبى البركات الأنبارى ، تحقيق الأستاذ/ طـه عبد الحميد طـه ، ط : الهيئة المصرية العـامة للكتـاب .

١٠ ـ تاريخ بغداد ، للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، مصورات دار الكتاب العربى ، بيروت عن مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ .

١١ ـ التبصرة والتذكرة للصيمرى ، تحقيق د/ فتحى أحمد على الدين ، مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ـ ١٤٠٢هـ .

١٢ ـ التحرير والتنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، ط : الدار التونسية للنشر .

١٣ ـ توضيح المقاصد والمسالك ، بشرح ألفية بن مالك ، لابن ام قاسم المرادى ، تحقيق د/ عبـد الرحمن على سليمان ، نشر مكتبـة الكليات الأزهرية ـ مصر ١٣٩٦هـ .

١٤ ـ جامع البيان فى تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق الأستاذ/ محمود شاكر ، طبعة دار المعارف بمصر .

١٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ، للإمام القرطبى ، مصورات دار الغد .

١٦ ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى ، لابن أم قاسم المرادى ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، ط : دار الآفاق ـ بيروت .

١٧ - حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ، ط : عيسى الحلبى بمصر - (بلا تاريخ) .

١٨ - حاشية الشيخ يس العليمى على شرح التصريح بمضمون التوضيح ، ط : عيسى الحلبى بمصر (بلا تاريخ) .

١٩ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادى ، بولاق بمصر ، وطبعة أخرى للخانجى تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون .

٢٠ - الخصائص لابن جنى ، حققه الشيخ/ محمد على النجار ، ط : دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ (مصورة) .

٢١ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، للعلامة الشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة ، (مصورات دار الحديث) - القاهرة (بلا تاريخ) .

٢٢ - الدر اللوامع فى شرح شواهد همع الهوامع ، للشنقيطى - القاهرة ١٣٢٨هـ .

٢٣ - ديوان الأخطل ، عنى بطبعه أنطون صالحانى - بيروت - ١٨٩١م .

٢٤ - ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق وشرح د/ محمد محمد حسين - القاهرة - ١٩٥٠م .

٢٥ - ديوان حسان بن ثابت ، شرح محمد العنانى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٣١هـ .

٢٦ - ديوان ذى الرمة ، تصحيح وتنقيح المستشرق : كارليل - كمبردج - لندن ١٩١٩م .

٢٧ ــ ديوان الفرزدق دار صادر بيروت ١٩٦٦م .

٢٨ ــ شرح أبيات مغنى اللبيب ، لعبد القاهر البغدادى ، تحقيق الأستاذين/ عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق .

٢٩ ــ شرح التسهيل لابن مالك ، تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ود/ محمد بدوى المختون ، ط : دار هجر بمصر ١٤١٠هـ .

٣٠ ــ شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، (مصورة) عن الطبعة العثمانية استانبول ١٣١٠هـ .

٣١ ــ شرح ابن عقيل على الألفية ، تحقيق الشيخ/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط : دار التراث ــ القاهرة ١٤٠٠هـ .

٣٢ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق د/ عبد المنعم هريدى ــ مركز البحث العلمى ــ جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة ١٤٠٢هـ

٣٣ ــ شرح المفصل لابن يعيش ، ط : عالم الكتب ومكتبة المتنبى ــ مصر .

٣٤ ــ الفهرست لابن النديم حققه الشيخ/ إبراهيم رمضان ، ط : دار المعرفة ــ بيروت .

٣٥ ــ الكتاب لسيبويه ، المطبعة الأميرية ببولاق ، وطبعة أخرى بتحقيق الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب والخانجى .

٣٦ ــ الكشاف للزمخشرى ، ط بيروت (بلا تاريخ) .

٣٧ ــ لسان العرب لابن منظور ط : دار المعارف بمصر الطبعة الأولى

٣٨ - مجاز القرآن ، صنعة أبى عبيدة (معمر بن المثنى التيمى) ، حققه وعلق عليه د/ محمد فؤاد سزكين ، ط : الخانجى بمصر (بلا تاريخ) .

٣٩ - المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ، حققه د/ محمد كامل بركات - مركز البحث العلمى - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٠هـ .

٤٠ - معانى القرآن للفراء ، حققه الأستاذان/ أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار (نسخة مصورة) دار السرور - بيروت .

٤١ - معانى القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة) الطبعة الأولى ، ط : بيروت بتحقيق د/ عبد الأمير الورد ١٤٠٥هـ .

٤٢ - معانى القرآن وإعرابه لأبى إسحاق الزجاج ، تحقيق د/ عبد الجليل شلبى - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨م .

٤٣ - معجم الأدباء لياقوت الحموى (نسخة مصورة) بلا تاريخ .

٤٤ - مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ، حققه الشيخ/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط : محمد صبيح - مصر .

٤٥ - المقتضب للمبرد ، حققه الشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٣٨٥هـ .

٤٦ - نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، لأبى البركات الانبارى ، حققه الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : نهضة مصر ١٣٨٦هـ .

٤٧ - النوادر فى اللغة لأبى زيد (سعيد بن أوس الأنصارى) - بيروت .

٤٨ - همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، للسيوطى - دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٤٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق الشيخ/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط : النهضة المصرية .